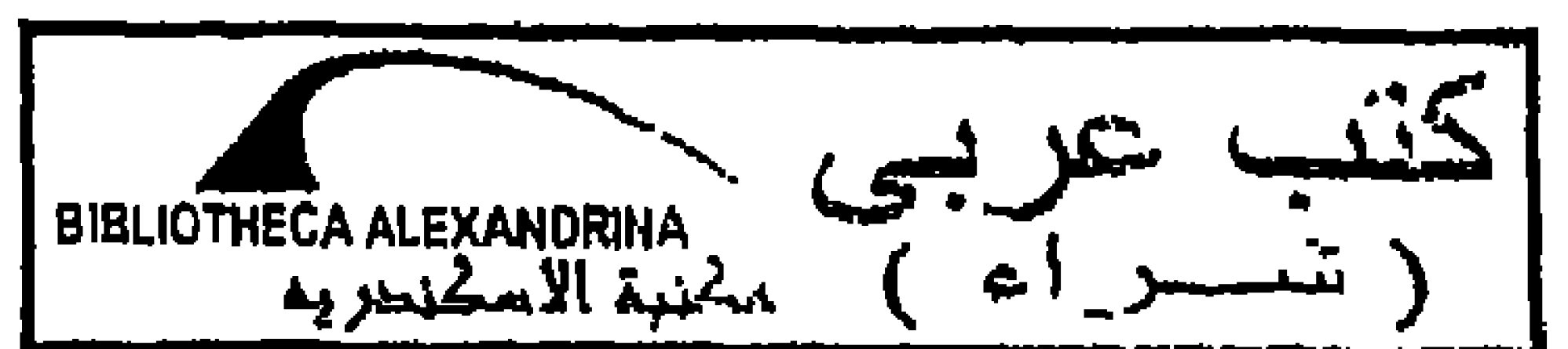


محمود سبلي

حياة محمد المختار

دار الكتب

حياة
عمر الفتى



رقم التسجيل ٥٦.٦٤

محمود سبلي

حياة

سيرة المحسنين

دار الجيد
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

لـ (دار الجيل)

الطبعة السادسة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

الأهداء

اللهم ... منك ... وإليك

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي هذه الطبعة

رب قائل يقول : لماذا أدخلت « عمر المختار » في سلسلة أبطال الاسلام ... وهو ليس صحابياً ولا تابعياً ولا من تابع التابعين !؟

اقول : بل هو أحق بالبطولة من التابعين !!

لان الثبات على الحق في زمان ابتعد الناس فيه عن الحق ..
أدل على البطولة .. من الثبات على الحق .. في زمان يجد المجاهد فيه أعواناً على الحق ...

فانبعث عمر المختار .. ليقاتل امبراطورية .. وحده .. ومعه
حفنة من الرجال ... دليل بطولة .. وآية فخار ...

ولم يكن هذا ... في القرون الأولى من الاسلام ... ولكن في
هذا العصر !!

وها هي الطبعة الرابعة ... تسعى بين يديك ...
وتقول لك : سلامٌ عليك !!

محمود هلبلي

١٤٠٢ هـ
١٩٨٢ م

مقدمة

سيرة ذلك الرجل سيرة عاطرة .

روحها إيمان عميق بالله ، وحب شديد لقيوم السماوات والأرض ، ورغبة أكيدة في الشهادة في سبيل الله .

ومظهرها قتال مرير للمستعمر ، وصبر لا ينفد في مجالدة دول الاستعمار حتى آخر قطرة من الدماء .

جاهد الامبراطورية الايطالية وحده ومعه قليل من الرجال ، فما وهن وما استكان وما ضعف ، ولكن قاتل وقاتل .

وأسندت اليه القيادة العامة للمجاهدين ، في ظروف قاتمة ، فحملها وهو يبتسم ، وذلك شأن الأبطال الذين وهبهم الله روحاً من عنده .

ولو أن جبلاً شاهقاً القيت عليه ذلك العبء لتفتت
وتصدع ، ولكن الرجل كان ذا قلب أقوى من الحديد وأمتن
من الجبال .

سيرة خلدت عند الله لأنها تؤمن بالله ، وخلدت عند الناس
لأنها تؤمن بحق الناس أن يعيشوا أحراراً .

محمود شلبي

في خريف

الامبراطورية العثمانية

نحن في منتصف القرن التاسع عشر ، والعالم الإسلامي كله تقريباً ، يتحد سياسياً تحت علم واحد ، هو خلافة آل عثمان ، ويتبع الباب العالي واتجاهه .

وكانت الإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت جداراً يريد أن ينقض . ، ولا يمنعه من الانقراض إلا بقايا من عوامل البقاء التي كانت تقاوم ذلك الفناء .

وقد شاع وذاع في ذلك الحين تسمية تركيا بالرجل المريض وكانت التسمية صادقة إلى حد بعيد .

فقد كانت الدولة فعلاً أشبه بشيخ خرف ، اجتمعت عليه أمراض الشيخوخة ، ولم يبق بينه وبين الفناء إلا أن يلفظ

أنفاسه .

الا أنها كانت آخر عزة إسلامية جامعة ..

ونهاية. إمبراطورية قامت والتامت ، على أساس فكرة الخلافة الإسلامية .

من أجل ذلك كان عزيزاً على المسلمين الصادقين ان تنهار دولة الخلافة ..

وكانوا يعتقدون ، أن بقاءها ، أمر ضروري لبقاء عزة الإسلام .. لأنها السياج الذي يدفع عن المسلمين ، اعتداء المعتدين .

ألا ان سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول ..

لم تكن لتغير من أجل أمانى بعض الناس ، أو أحلام بعض المسلمين .

وسنة الله أن كل دولة يشيع فيها الظلم والفساد ، لا بد من إهلاكها وازدهابها .

أما الظلم في تلك الامبراطورية .. فقد كان شائعاً دائماً ..

وما زالت الأذهان ، تذكر افعال الاتراك في رعايا
الامبراطورية .

وأما الفساد .. فقد كان منتشراً في بنية الدولة
وقيادتها .

وكانت تركيا تتعرض لهزات وزارية أشبه ما تكون بمهازل
سقوط الوزارات وتأليفها ، في أيامنا هذه .. في الدول
الفاصلة .

خلافات في كل شيء ..

وما اختلف قوم إلا هلكوا .

خلاف في الدين .

فريق يرى الجمود على الماضي والتباعد على المظاهرات من عمام
ضخمة ولحي فخمة وتمايم طويلة حالة ..

وفريق يرى ، نبذ هذه المظاهرات ، والعودة إلى جوهر
الدين ، من صفاء الكتاب ، وتقاة السنة ، وكان الصراع على
أشده بينهما

وخلاف في السياسة العليا ..

السلطان له حاشية .. والصدر الأعظم (رئيس الوزراء) له حاشية .

وإهمال تام في الاعداد والتسلح .

وبذلك اجتمعت على الدولة عوامل الفناء ، ولم ينفعها انتسابها إلى الاسلام ..

ولا التفافها حول الخلافة .

ذلك ان الاسلام ليس عصبية جاهلية ..

وإنما هو ، شريعة تامة كاملة .. أنزلها الله لينزل للناس على حكمها .

• وجعل أساسها كلمة واحدة هي « العدل » .

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » .

(النساء ٥٨) .

فالعدل هو روح الشريعة الاسلامية .. والعدل معناه أن يكون الناس سواسية كأسنان المشط .. في الحقوق والواجبات .

فاذا انحرَف الحكم واستبدل الحكم الحق بالباطل ، والظلم بالعدل ، حقت عليهم الكلمة ، وتزلت بهم اللعنة ، واهلكهم الله إهلاكاً .

« وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً » .

(الكهف ٥٩)

وعلى ذلك قالوا ان الله يهلك الامة بظلمها ولا يهلكها بكفرها ..

لان الظلم اعتداء على العباد ..
والكفر إنكار لحق الله ..

والله قد يؤجل عقوبة الكفر ، ولكنه لا يؤجل عقوبة الظلم إلا إلى حين .

وهكذا كانت تلك الامبراطورية ، أشبه شيء بالشجرة الجافة ، تعصف بها رياح الاعداء من كل جانب ، كل يتربص بها الدوائر .

وكان مما اغرى الدول الاجنبية بدولة الخلافة ، فوق ما هي عليه من ضعف وانحلال ..

أنها كانت تضم خير بقاع العالم موقعاً وثروة مما يسيل له لعاب
الذئاب المتربصة ..

وناهيك بدولة كانت تضم الشرق الاوسط كله ، والبلقان ،
وشمال افريقيا ، والسودان ، وجزيرة العرب .. وغير ذلك من
الاقطار .

في تلك الاحوال المكفهرة ، ومن تلك الشجرة الجافة ..
نبتت فروع ثلاثة خضراء تحاول اصلاح الحال ونفخ الروح في
الجسم الميت .

الصيحة الاولى : صيحة الوهابيين ، وكان مذهبها أن يعود
المسلمون الى الكتاب والسنة فعلا لا قولاً .

والصيحة الثانية : صيحة جمال الدين الافغاني ، وكان
مذهبه تقوية الخلافة ، وكان من رأيه أن الخلافة القوية في
مقدورها ان ترد عدوان المعتدين ، وتحمي أقطار المسلمين في
المشرق والمغرب .

والصيحة الثالثة : هي دعوة السنوسية في شمال افريقيا
وغربها ، وكان مذهبها العودة الى الكتاب ، والسنة ، والإرشاد ،
والتوجيه .

الا ان هذه الصيحات كلها ، وان استطاعت أن تحقق
كثيراً من اهدافها .. الا أنها لم تستطع أن تتفخ الحياة في
الجسم الميت .

فلفظت الامبراطورية العثمانية آخر أنفاسها ، عند انتهاء
الحرب العالمية الاولى .

وخرجت تركيا منهزمة بانهازم حليفها المانيا .

الدعوة السنوسية

تنتشر

أسس هذه الدعوة محمد بن علي السنوسي ، العالم العامل المجاهد في سبيل إحياء العمل بالكتاب والسنة .

ولد عام ١٧٨٧ بالجزائر ، وأخذ العلم عن أفاضل العلماء ، حتى عين مدرساً بالجامع الكبير بمدينة فاس .

وشاع أمر الرجل وذاع بفاس ..

وحاول نشر دعوته بالحسنى والموعظة الحسنة ، فأبى أصحاب الحكم إلا نفوراً ، وحاربوه حرباً شديدة ، مخافة أن تنقلب دعوته الدينية إلى أخرى سياسية قد تذهب بالسلطنة القائمة وقتئذ .

فشددوا عليه الرقابة ، مما دفعه إلى الارتحال عن الجزائر

نحو الشرق .

فزار طرابلس وبنغازي ، ثم دخل مصر وواليتها وقتذاك محمد علي باشا الكبير .

وحضر الرجل مع علماء الأزهر واجتمع بهم وأخذ عنهم ، وكان الرجل قد سبقته شهرته ، فأخذ مقام الاستاذ واستمع اليه الناس ..

وحبيبهم فيه شدة تمسكه باستقلاله في الرأي ، واحترامه لنفسه ، وعدم مبالاته برأي الحكم فيه .

فجر ذلك عليه المتاعب التي لاقاها بفاس .

فأيقن الرجل أن المرض هنا هو المرض هناك ، وارتحل عن مصر مهموماً إلى الحجاز .

وعندما استكمل الرجل علمه وشخصيته بمكة ، جعل يلقي من يتوسم فيهم الخير الطريقة المحمدية التي اشتهرت فيما بعد بالطريقة السنوسية .

وفي عام ١٨٣٧ أنشأ السيد أول زواياه بمكة .. ثم لحقه ما لحقه من قبل بفاس ومصر . وهو التفاف الناس من حوله وخوف الحكم من ذلك .

فغادر مكة إلى برقة في عام ١٨٤٠ ، وكان انتقاله إليها بدء انتشار الدعوة السنوسية في انحاء ليبيا .

وفي الزاوية البيضاء ببرقة أسس السيد ثاني الزوايا فكانت المكان الذي انبثق منه نور الدعوة إلى الانحاء .

وتابع السيد عمله حتى بلغ عدد هذه الزوايا عند نهاية حياته في جميع انحاء ليبيا الاثني والعشرين ، منها ثمانية عشر زاوية في برقة وحدها .

وكان انشاء هذه الزوايا المتعددة ..

ثم انتشار تعاليم السيد من جهة اخرى .. مما أثار مخاوف السلطات العثمانية من سلطان السيد .. الذي انتشر من شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، من الاسكندرية .. إلى بلاد الزنوج بالجنوب .

وأثار كذلك عداة علماء الدين الجامدين الذين كانوا يرفضون كل جديد .

وما كان الجديد ، في الدعوة السنوسية - ، سوى تمسك صاحبها ، بالكتاب والسنة ، وقوله بأن الاجتهاد مفتوح ، مما زاد نقمة هؤلاء الشيوخ عليه ، خصوصاً شيوخ القسطنطينية ،

ومكة ، ومصر .

★ ★ ★

أمام ذلك ، رأى السيد ، أن من الحكمة أن يتخذ مقراً
جديداً لدعوته غير الزواية البيضاء ، بعد أن تحولت بعد فترة
وجيزة من إنشائها إلى مدينة كبيرة تهوى إليها أفئدة الناس ،
ويقصدها الزوار من كل جانب .

فاختار لهذا الغرض واحة الجغبوب ، وكان اختياراً
موفقاً ..

ذلك أن جغبوب كانت في مكان تكثر به القبائل العربية
المستقلة ، والتي قبلت الدعوة السنوسية ..

وأصبح لذلك من المستطاع أن يعتمد السيد على أهلها في
نشر دعوة الاسلام في مجاهل الصحراء ، وفي الجهات المجاورة التي
ما زال أهلها حتى ذلك الحين على وثنتهم القديمة ..

كما أن الجغبوب كانت بعيدة عن الساحل ، مما يجعلها بعيدة
عن سلطان الوالي التركي بينغازي .

وكانت جغبوب قبل انتقال السيد إليها ..

واحد ملحة ياوي اليها الدعار واللصوص ولا تجسر القوافل
أن تمر بها من جراء العبث في أنحائها ..

فلما اختارها مقراً له وبني بها زاويته الكبرى صارت مهداً آمن
ومركز عبادة ومشرق أنوار ومعلم هداية .

فغرس بها الأشجار ونسق الجنان واستنبط العيون وتوسع في
البناء ، وأسس مدرسة لتخريج مريدي الطريقة أجلس للتدريس
فيها جلة العلماء .

واستطاع السيد ، أن يجعل منها مركزاً لنشر الإسلام بين
الزنوج الوثنيين في واداي وفي الأقاليم المجاورة لها ..

فقد تغلغلت السنوسية في عهده في هذه الجهات ، وانتشرت
انتشاراً بعيداً .

ومما يذكر ، أن بعض البدو أغاروا على إحدى القوافل
التي كانت تحمل عبيداً ، من أهل واداي ، لبيعهم في أسواق
الرقيق ..

وكان سطوهم عليها وهي لا تزال في طريقها إلى مصر على
الحدود البرقاوية المصرية .

فاشتري السيد منهم جميع الرقيق ، واحضرهم إلى الجغبوب ،

حيث اشرف بنفسه على تربيتهم وتعليمهم في الزاوية .. ثم
حررهم وارسلهم إلى بلادهم (واداي) ، كي ينشروا الاسلام بين
الزنوج .

ومن ذلك الحين ، صار اهل (واداي) يحضرون بمحض
إرادتهم إلى الجغبوب ، يتلقون العلم في زاويتها .

وأقام السيد بالجغبوب سنتين ، وتوفى في اول السنة الثالثة
عام ١٨٥٩ .

وكانت السنوسية عند وفاته قد قطعت شوطاً كبيراً في
سبيل الدعوة والإرشاد ، وتشيد دعائم تلك الإمارة التي سعت اليهم
وما سعوا اليها .

الامارة تسعى

الى السنوسية

كانت الدعامة ^(١) الأولى التي أدت إلى انتشار دعوة السنوسية هي البساطة ..

تطلب إلى الناس إقامة فرائض الدين ، وتامرهم بما أمرهم الله وتنههم عما نهىهم عنه ..

في غير ما شيء يغاير المنطق ..

او تنفر منه الفطرة السليمة .

(١) كان المرجع الأهم في هذه الفصول من الناحية التاريخية كتاب « السنوسية دين ودولة » للدكتور محمد فؤاد شكرى .. وهناك فقرات كثيرة نقلناها بألفاظها حيث لم نجد أشمل منها .

وكانت الدعامة الثانية هي الزوايا .

والزوايا هي المكان الذي يجتمع فيه الاتباع للعبادة ونشر الدعوة والارشاد بين أهل البلاد المجاورة ..

او بين القبائل القاطنة بجهتها ..

او رجال القوافل الذين يرون بهذه الزوايا في غدوهم ورواحهم ..

وكسب السنوسيون ، بفضل هذا التنظيم الجديد .. سلطاناً واسعاً ، كان له أثر واضح ، في قيام الإمارة السنوسية ذاتها ..

ولم تكن زواياهم ، جوامع عبادة ، وإنما كانت مراكز نشاط وحيوية وإصلاح .. يشع منها النور علماً وعملاً ، في كل ما جاورها .

حتى كان يندر أن تمر بزاوية من غير أن تجد حولها بستاناً او بساتين فيها من كل الثمرات .

ووضع السيد نظاماً للزوايا وترتيبها ..

حتى غدت كل واحدة منها أشبه بحكومة ذات سلطان عظيم

على جميع الأهلين المقيمين في جهتها .

فالزاوية هي مركز العلم والتعليم بالناحية او القبيلة ..

وشيوخ الزاوية يعلمون الأهلين شئون دينهم ودنياهم ..

ويفصلون فيما يقوم من منازعات وخصومات ..

ويردون المنهوبات إلى أصحابها ، وينشرون الأمن والطمأنينة
ايما كانوا .

ثم ربط ، بين جميع هذه الزوايا المتفرقة ، والقاصية
برباط متين من المخبرات ، والمخاطبات .. وفق نظام دقيق
تلتقي أسبابه ، عند الزاوية الكبرى المركزية ، وهي زاوية
الجغبوب .

وقد خدمت هذه الزوايا الاسلام خدمة جليلة ..

كما أنها ساهمت مساهمة جدية وفعالة في نشر الفضائل ومحاربة
الرذائل .

فهي إلى جانب تعريف القبائل بشئون دينهم القويم ..

تنشر الرسالة الحمديّة السامية ..

وتحمل هذه الرسالة ، على وجه الخصوص إلى الشعوب الوثنية

(الزنوج) ..

في قلب افريقيا الغربية ، والسودان ، والصحراء الكبرى .
حتى اهدت هذه القبائل المتوحشة البدوية إلى الاسلام طائفة
مختارة .

فصلح حال هذه الشعوب ، وتهذبت طباعهم ، وذهبت
الحدة من نفوسهم ، وامتنع اكثرهم عن طلب العيش بالاعتداء على
الغير .

ومن الكلام على الزوايا يسهل الانتقال إلى الكلام عن الأصول
السياسية التي استندت اليها الدعوة السنوسية .

وقد سبق ان خرجت الامارة السنوسية إلى عالم الوجود منذ
أن لجأ العثمانيون إلى المؤسس يستخدمون نفوذه في إصلاح ذات
البين بين العرب والترك .

فاعترفت الدولة العثمانية عن طريق واليها في طرابلس بزعامة
السيد وإمارته :

★

وهكذا بدأت السنوسية طريقها ..

ثم اشتدت فقويت دعوتها إلى إحياء العالم الاسلامي ..

ثم عظم ارشادها .. فحملت رسالة القرآن والسنة ، الى
سائر الأقطار ..

لذلك كله ، لم تلبث ان احتلت السنوسية مكان الامارة
والصدارة ..

ولم يكن ثم مناص من حدوث هذا التطور .

وفي الحقيقة كانت هذه الزوايا عبارة عن مراكز حكومية بكل
ما يحمله هذا الوصف من معنى .

ويتمتع شيوخ السنوسية بنفوذ عظيم في الأقاليم التي توجد بها
زواياهم ..

وليس هناك ادل على مقدار ما بلغه سلطان السنوسية من
الطريقة التي توصل بها هؤلاء الشيوخ او الزعماء الى تأمين طرق
القوافل في قلب الصحراء الكبرى في افريقيا .

فلم تكن قافلة تأمن على متاجرها ، وأموالها ، ورجالها ،
الا اذا أخذت ، قبل قيامها وتوغلها في الصحراء (محركات)

من شيوخ الزوايا السنوسية .. تصبح بمثابة (جوازات مرور) .

وكانت هذه القوة كلها مجتمعة في يد شيخ الزوايا الأعلى وإمامها ومؤسس الطريقة .

وكان شخصه العظيم ، موضع الاحترام ، وكلمته النافذة .

وبمجرد ان اتخذ الجغوب مقراً ومركزاً للسنوسية ..

عظم شأن هذه الزاوية تدريجياً ، حتى غدت قصة الإمارة السنوسية ..

ترد اليها التقارير والرسائل ، وتصدر منها الأوامر والنواهي الى مختلف بقاع الأرض .

ويشرف صاحبها ومؤسسها ..

ويبسط سلطانه على عدد عظيم من المسلمين .

ثم عظمت قوة السيد تدريجياً ، حتى صار في امكانه ، في النهاية ، لو شاء .. ان يجمع الأربعين ، والخمسين الف مقاتل .

وله القدرة ، عند الطلب ، على أن يسوق ، لآية بقعة شاء

جميع القبائل وجميع السودانيين من اتباعه .

وكان سبب ذلك كله ..

ان الرجل كان يربي اتباعه ، على ضرورة تعلم الرماية وفنون
الحرب والاستعداد للجهاد في أية لحظة .

العصر الذهبي

للدعوة السنوسية

ورث السيد محمد المهدي السنوسي الخلافة عن السيد محمد بن علي ، من عام ١٨٥٩ إلى عام ١٩٠٢ ، أي حوالي الأربعين عاماً وزيادة .

فكانت هذه الفترة الطويلة ، فترة استقرار وانتشار للدعوة ، حتى يصح بحق ، تسميتها بالعصر الذهبي للدعوة السنوسية .

وكان الرجل بعيد النظر سديد الرأي ، شديد العزم على إتمام البناء الذي شيده والده العظيم ..
فأكثر من انشاء الزوايا ..

وإرسال الدعاة والمبشرين إلى أواسط افريقيا مثل بلاد النيجر والكنغو والكامرون وجهات بحيرة تشاد .

ثم عمل على ذبوع الدعوة عن طريق وادي ، وبرنو ، وكانم ، والداهومي وغيرها ..

حتى بسطت السنوسية سلطانها الروحي على هذه الأقاليم ، مما دعم أركان الامارة الجديدة في قلب افريقيا .

وكانت الدعوة تستند إلى دعامين قويتين في انتشارها ..
إحداها روحية ، قائمة على الوعظ والإرشاد والعمل بهدي الكتاب والسنة ..

والأخرى مادية ، أساسها تعلم الرماية ، وإتقان أساليب القتال ..

وكان ذبوع الدعوة إلى الاسلام ، ونجاحها في أواسط افريقية ..

ثم توطيد سلطان السنوسيين في قلب الصحراء الكبرى ، عقبه كاداء في طريق الرسائل المسيحية التبشيرية .. التي وجدت في السنوسيين ، خصوماً عنيدين ، عطلوا عليها أعمالها لدرجة بعيدة ..

إن لم يكونوا قد افسدوا هذه الأعمال في بغض الجهات وأبطلوها ..

زد على ذلك ، أن نجاح الدعوة السنوسية ، ودعم أركان الامارة الجديدة سرعان ما صار يقض مضاجع دول الاستعمار الغربية ، وخصوصاً منذ أن قويت منافسة هذه الدول فيما بينها من أجل اقتسام القارة الافريقية .

فبدأت حملة الدعاية العريضة الكاذبة ضد السنوسية ورموها بكل سوء .

ثم تقدموا بشكاياتهم ضد السنوسيين .. الى السلطان العثماني عبد الحميد ..

فإنه لما كان السيد المهدي ، لا يابه لمحاولة هذه الدول ، من أجل التقرب اليه ..

وفشلت وسائلهم في اجتذابه اليهم وأعرض عنهم .. عظمت مخاوفهم من تشكيلاته وحركاته ، وانكبوا يسعون لدى الاستانة ويشددون الضغط على السلطان عبد الحميد كي يتوسط بوصفه الخليفة الأكبر في استدعاء السيد المهدي في افريقية للقامة في ارض الحجاز ، او في دار الخلافة .. وعدم مغادرتها والعودة

إلى وطنه .

ولكن السلطان لم يجب الدول إلى هذه الرغبة في النهاية .

بيد ان اهم الحوادث التي وقعت في هذه الفترة وأظهرت ما كان يتحلى به السيد المهدي ، من صفات الزعامة والامارة السامية ..

وكشفت عن حقيقة النفوذ الروحي والزمني الذي يتمتع به السيد طيلة حياته .

كان قيام محمد أحمد بالثورة ، في السودان المصري وادعاؤه أنه (المهدي المنتظر) .

وقد وضع السيد المهدي خطة (الحياذ) الدقيق التي اتبعها حيا ل محمد أحمد بقوله :

« إنه إنما يعني بالدعوة إلى إصلاح الدين الحنيف سلباً لا حرباً . بينما تنفر الملة التي يراد إحيائها نفوراً عظيماً ، بل وتشتد ثورتها ضد الدماء التي يهدرها محمد أحمد والجرائم التي يرتكبها أتباعه في السودان .. ولذلك فانه لا يريد أن يتدخل في شيء مما يحدث ، بل من واجب محمد أحمد وخليفته هذا أن ينظرا وحدهما في الوسائل التي تكفل لشخصيهما النجاة أو الهلاك

المحقق « .

فجاء هذا القول إعلاناً صريحاً عن عزم السيد على التمسك بخطته أو سياسة عدم التدخل في شئون السودان .

ثم قرر السيد الارتحال من الجغبوب إلى الكفرة عندما رأى ان الجغبوب قد أصبحت موضع أنظار الجميع ..

وأن السلامة صارت تقضي بالانتقال منها والتوغل جنوباً في الصحراء إلى مكان يكون أكثر أمناً من سابقه وبعيداً عن نفوذ الدول وتقلبات السلطان العثماني نفسه .

وفي الحقيقة ، كان ينتظر السيد المهدي ، عند انتقاله إلى الكفرة برنامج واسع ..

هذا عدا تأسيس الزوايا الكثيرة ، والعمل على نشر نور الهداية والعرفان .. والتبشير بالاسلام بين شعوب التبو والتوارق وغيرهم ..

ومع أن هذا النشاط العظيم كان يقض مضاجع الدول الغربية التي اخذت على عاتقها حماية الرسائل التبشيرية التي ذهبت إلى مجاهل القارة الافريقية ، تروج لدعوتها .

ثم طفقت هذه الدول تبذل كل جهد من أجل الحد من نشاط

السيد عن طريق الباب العالي تارة ، وعن طريق الاتصال المباشر بالسيد نفسه ، ومحاولة استمالة حتى تقلل من نشاطه ، تارة اخرى ..

ووجدت عندما باءت مساعيه لدى السيد المهدي بالفشل ، ولم تلمس منه ذلك التراخي الذي كانت تنشده ..

أن تهول من أمر الدعوة السنوسية الكبرى ، فأخرجتها عن الحدود التي وضعها السيد المؤسس والتزمها خليفته الأول .. كدعوة ، للإصلاح الديني والاجتماعي .. في العالم الاسلامي قاطبة ..

وصارت تعزو اليها الرغبة في تأسيس ملك قوي الدعائم ، ينازع دولة الخلافة القائمة ذاتها ، السيطرة والسلطان على هذا العالم الاسلامي الواسع ..

تبغى ولا شك من وراء هذا الزعم والادعاء القاء بذور الفتنة والاضطراب في العالم الاسلامي ، وإثارة عداوة دولة الخلافة ضد السنوسيين حتى تقوض اركان إمارتهم ..

وعندما اصبح الخطر الفرنسي ماثلاً بسبب زحفهم المتواصل على الامارات الاسلامية في افريقية الغربية ..

قرر السيد المهدي الانتقال من الكفرة إلى محل قريب من مكان
هذه العمليات الخطيرة ..

فغادر التاج إلى زاوية قرو في (برقو) في عام ١٨٩٩ م ، وخرج
معه ابن أخيه السيد أحمد الشريف وغيره .

وبالفعل تقدم الفرنسيون صوب (كانم) واستعد السنوسيون
لمقابلتهم ، فوضعوا حامية كبيرة في (بير العلالي) ..

وعهد للسيد المهدي إلى ابن أخيه السيد أحمد الشريف بإدارة
الحرب والجهاد ضد الفرنسيين .

واشترك في القتال قواد من السنوسيين مبرزون ، ثم
قائد آخر أحرز فيما بعد صيتاً وشهرة عظيمة .. وهو السيد
عمر المختار .

ولكن لم يكن مقدراً للسيد محمد المهدي نفسه ان يشهد حوادث
هذا الجهاد الأخيرة ..

فقد توفي فجأة وهو في قرو في أول يونيو ١٩٠٢ وتقل جثمانه
الطاهر إلى الكفرة .

قتال الفرنسيين

لما كان السيد محمد إدريس اكبر أنجال الأمير الراحل ، صغير السن ، ولا يكاد يبلغ الثلاثة عشر عاماً ..

فقد أوصى السيد المهدي بزعامة السنوسية ، لابن أخيه السيد أحمد الشريف ، على أن يكون السيد أحمد ، في الوقت نفسه وصياً على السيد محمد إدريس نجل السيد المهدي الأكبر ، والخليفة الشرعي .

وكان الجهاد الحقيقي بين السنوسيين والفرنسيين في جهات التبستي ..

فقامت مناوشات عديدة ..

وأظهر السنوسيون في هذا النضال جلاً وعزيمة قوية .

واستطاعوا ان يكبدوا الفرنسيين خسائر فادحة في الأرواح والأموال .

إلا ان الفرنسيين بفضل اسلحتهم الحديثة وقواتهم المتدفقة استطاعوا ان يحرزوا انتصارات هامة .

بيد ان هذا الجهاد الطويل كانت قد خفت حدته من مدة لجملة اسباب .

منها ان العثمانيين كانوا يعتبرون انفسهم في حالة سلم ، مع فرنسا ..

فتعذر على المجاهدين ، بسبب ذلك ، الحصول على الأسلحة والذخائر والمؤن اللازمة للمضي في قتال الفرنسيين ، في هذه الأصقاع النائية .

اضف الى هذا ..

• ان الفرنسيين انفسهم ، بعد ان تم لهم إخضاع واداي وبرقو وقرو .. اضطروا من جانبهم .. الى الوقوف عند حدود برقة الجنوبية ، بسبب الارتباطات الدولية التي قيدت حركتهم ، من هذه الناحية .

واما السنوسيون ..

فقد ارغموا ، هم ايضاً ، على ترك النضال ، ضد فرنسا ، في النهاية عندما !!!

الحرب

الايطالية — الليبية

فاجأ الإيطاليون الدولة العثمانية بقطع علاقتهم معها وعلان الحرب عليها في اواخر سبتمبر ١٩١١ ..

ثم اطلق اسطولهم قذائفه على موانئ طرابلس وبرقة ، ووقع على السنوسيين .. عبء الدفاع عن البلاد التي نشأت فيها دعوتهم ، وكانت مقر امارتهم ..

وهو الدفاع الذي اتخذوا له عدتهم من مدة طويلة .

فتقاطرت جموعهم ، واحتشدت في ميادين القتال الشمالية ، خصوصاً في برقة .

وبدأ من ثم ذلك النضال الصارم ، الذي استمر من غير هوادة مدة الثلاثين عاماً التالية .

وتحمل السنوسيون في اثنائه ، اعظم تضحية قدمتها أمة في العصور الحديثة ، من اجل المحافظة على بقائها .

ويعرف التاريخ هذا الاعتداء الايطالي ، باسم الحرب الطرابلسية (الليبية) الايطالية ..

ومنذ مجيء الطليان الى برقة ، وطرابلس ، حتى وقت خروجهم منها مهزومين مقهورين ..

خط السنوسيون ، قصة كفاحهم بدمائهم ..

واقاموا الدليل بعد الآخر ، على ان الشعوب التي تعتر بعقائدها وتقاليدها وقوميتها ، لا يمكن فناؤها مهما تضافرت ضدها القوى المادية ، والتي تعتمد على فرض سيطرتها وسلطانها على السيف والمدفع ، ووسائل ازهاق الأرواح التي حذق الغرب صنعها .

وكان السبب الرئيسي ، الذي دفع ايطاليا الى العدوان على طرابلس الغرب هو الشعور بالنقص .

فاتجهت انظار قادتها الى ضرورة التوسع الخارجي ، حتى تستطيع ايطاليا ان تزعم بحق انها احدى الدول العظمى .

ففي عام ١٨٨٥ كانت العلاقات بين انجلترا وايطاليا ، قد تحسنت لدرجة مكنت ايطاليا من احتلال مصوع على شاطئ البحر

الأحرر الأفريقي ..

وفي الأعوام التالية ، شغلت إيطاليا بتأسيس امبراطوريتها في
ارتزيا (١٨٩٠) .

ثم أخذت تعمل من أجل الاستحواذ على الحبشة ..
ولكن الاحباش استطاعوا في النهاية تبديد هذه الاحلام الجميلة
عندما انزلوا بالايطاليين هزيمة قاصمة في موقعة (عدوة) المشهورة
في سنة ١٨٩٦ .

وأمام هذا الفشل الذريع في الحبشة ، وبمجرد ان انهارت
آمال الايطاليين في إنشاء إمبراطوريتهم في افريقية الشرقية ..
اتجهت انظارهم من جديد إلى افريقية الشمالية ..

وكان الانذار الايطالي ، كما هو منتظر ، شديد اللهجة ، اتهمت
فيه إيطاليا الحكومة العثمانية بأنها ، كانت حتى الآن تبدي عداء
دائماً نحو الحركة الايطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي حتى
اصبحت الحالة في طرابلس الغرب عظيمة الخطورة بسبب التحريض
العام ضد الرعايا الطليان .

لكل ذلك .. ولما باتت لا تجدي نفعاً اية مفاوضات للوصول
إلى تسوية ودية .. أو إعطاء إيطاليا أية امتيازات من أجل إنهاء

هذه الازمة المختلقة ..

فقد رأت الحكومة الايطالية نفسها - كما قالت - مرغمة على المحافظة على شرفها ومصالحها ..

ولذلك ، قررت ان تحتل ، طرابلس وبنغازي ، احتلالاً عسكرياً ..

وهي « تنتظر ان تصدر ، الحكومة السلطانية اوامرها حتى لا تصادف ايطاليا في الاحتلال ، معارضة من رجال الحكومة العثمانية .. وبعد ذلك ، تتفق الحكومتان ، على تقرير الحالة اللازمة » .

ولما كانت الوزارة التركية غير مستعدة للحرب ، فقد أرسل الباب العالي جوابه على هذا الانذار .. وكان جواباً يحمل طابع النذل والمسكنة ..

وأصدرت الحكومة الايطالية ، بلاغاً آخر في رومة في الوقت نفسه ، يعلن قيام الحرب بينها وبين الدولة العثمانية .

وفي يوم ٣ اكتوبر ١٩١١ ، اطلق الاسطول الايطالي قذائفه على ميناء طرابلس ..

وبذلك بدأت الحرب الليبية - الايطالية .

وعندئذ افاقت الدولة العثمانية من غفوتها ، وظهر جلياً ،
انه عليها وحدها فقط ، تقع مسئولية رد اعتداء الطليان والدفاع
عن املاكها .

وفي هذه الأثناء ، كان هياج الخواطر ، في العالم الاسلامي ، قد
بلغ ذروته .

وكان أهم الأسباب التي دعت آلاف المسلمين ، إلى التطوع ،
في صفوف المجاهدين ، قوة الرابطة ، التي دفعت بهذه الشعوب
الاسلامية إلى التكاتف والتساند في وجه العدو المعتدي .

وعلى الخصوص ، عندما وقع هذا الاعتداء على قطر من اقطار
دولة الخلافة الاسلامية ..

وكان المسلمون متحفزين وقتئذ للانتصار دائماً لدولة الخلافة ،
ويقبلون على الجهاد من اجل المحافظة على كيانها ..

لأنهم توقعوا من سقوطها وانحلالها ، ضياع الكلمة وضعف
القوة ..

وتتلخص اهم حوادث الحرب ، في ميدان طرابلس ، في
ان الاسطول الايطالي ، ظهر امام مدينة طرابلس ، في ٣٠
سبتمبر .. وضرب حولها الحصار ، وأهل المدينة ثلاثة أيام

للتسليم ..

فلم تستطع الحامية الدفاع اكثر من ساعتين ، لأن مداف (كروب) المقتنية ، كانت قصيرة المرمى ، لا تقتل قذائفها ، الاسطول فاضطرت الى الانسحاب .

وعندئذ ، انزل الطليان جنودهم واحتلوا مدينة طرابلس وظلت الامدادات تصل تباعاً اليهم حتى بلغت قواتهم ، مدينة طرابلس ، حوالي الثلاثين الف على اقل تقدير .

واما الاتراك ، فقد كانت مراكزهم الأساسية ، بعد انسحاب من مدينة طرابلس ، جنوب المدينة ، وقرروا اتخاذ قاعدة رئيسية لتنظيم المقاومة منه .

وسرعان ما جاءت الأخبار ، من المراكز الرئيسية ، بأن الطليان بدأوا يزحفون ..

وفي اليوم التالي ، نشبت معركة كبيرة ، أسفرت عن ارتداد العدو ، على الزغم من قواته ومعداته العظيمة .

ويعزى فشل الايطاليين ، في كسب هذه الحرب التي استعدوا لها استعداداً عظيماً ، وبدأوها في ظروف ملائمة لهم ، وجلبوا لها

الامدادات والنجادات ، حتى بلغت قوتهم (١٢٠٠٠٠٠) جندي نظامي : بمعداتهم واسلحتهم الحديثة الكاملة ، الى جملة اسباب ، اهمها :

ان الطليان كانوا يفضلون دائماً عدم الحركة والاحتواء في خنادقهم ، وخلف خطوطهم المحصنة ، وتأجيل الزحف خوفاً من المجاهدين العرب .

خصوصاً الذين بالغوا بمبالغة عظيمة في تقدير أعدادهم ، على الرغم من الاستطلاع الكثير الذي كانت تقوم به طائراتهم فوق مراكز المجاهدين ..

بل إن الخوف ، من هؤلاء المجاهدين البواسل ، كثيراً ما كان يجعل قوة بأسرها تولى الأدبار ، تاركة وراءها سلاحها ومؤننها وذخائرها ، لا تلوي على شيء إذا صادفت في أثناء حركاتها الاستطلاعية كوكبة من العرب المجاهدين ..

فأضاع الطليان : بخوفهم هذا فرصاً عديدة ، لو انهم انتهزوها لاستطاعوا ان يسيطروا على طرابلس الغرب ، في مدة وجيزة .

أضف إلى هذا ، ان الطليان الذين ظهر انهم تركوا القتال

جانبا ، وآثروا انتظار ما تحدثه منشوراتهم ونداءاتهم من
آثار ، قد تكسبهم الحرب ، من غير حاجة إلى الاشتباك في
معارك فاصلة .

كان من سوء حظهم انهم اكلوا من بذل الوعود السخية التي لم
يكن في نيتهم المحافظة على شيء منها .

ولذلك كان اقل ما يجب ان يفعله الغزاة ، بعد ان ربطوا
انفسهم بهذه المواثيق ، ان يحققوا شيئا من المبادئ التي انطوت
عليها ..

ولكنهم بدلا من ذلك ، اظهروا من ضروب الاستهتار بأرواح
الاهلين ، وعقائدهم وشعائهم وتقاليدهم ..

ثم ارتكبوا من الفظائع التي تقشع من هولها الأبدان ، ما
لطنخ بالعار إسم ايطاليا وشرفها ، وجعل العرب يخفون إلى
ميدان القتال أفواجا من أقاصي البلاد ، بمجرد أن وصلتهم
أخبارها .

وأما اقسى هذه الجرائم وأفظعها ، فكانت تلك التي ارتكبتها
الايطاليون في ناحية المنشية ، بعد اسبوع من نزولهم إلى مدينة
طرابلس .

ويتلخص هذا الحادث المروع ، في أن الطليان ، عندما نزلوا إلى البر ، بعد انسحاب القوة العثمانية ، عسكرت جنودهم في أطراف المدينة ، بينما تركوا ناحية (المنشية) خلفهم .

فانتهاز المجاهدون هذه الفرصة وهاجموا (المنشية) بقيادة بعض الضباط العثمانيين ، في ليل ١٢ أكتوبر ١٩١١ .

فصمدت حاميتها الطليانية إلى الصباح ، وعندئذ انسحب المجاهدون ..

ولما وصلت النجيدات ، عثر الطليان على قتيل في بساتين الناحية . فصبوا غضبهم على الأهليين الأبرياء والصقوا بهم تهمة اغتيال جنودهم ، من غير ان يكلفوا أنفسهم مشقة تحقيق هذا الحادث ..

وبناء على ذلك . استباح الجنرال (كانيفا) ، ناحية المنشية لجنوده ثلاثة أيام قتلوا في أثنائها من الأهليين عدداً يتراوح بين الأربعة آلاف والسبعة آلاف نسمة ، وهدكوا أعراض النساء ، والقوا في غياهب السجون ، وفي الشكنات العسكرية ، وفي (مدرسة الصنائع) مئات من الرجال والنساء ..

ونفوا من العرب ، إلى جانب ذلك ، حوالي التسعمائة .

وهكذا أضاف الطليان ، بفعلتهم الشنيعة هذه ، إلى جانب الدفاع عن ارض الوطن ، ضد العدو المعتدي ، سبباً آخر حرك العرب وأثار حميتهم ، هو الانتقام للضحايا الأبرياء ، وغسل الالهات التي لحقت بشرفهم ..

ثم عظمت كراهية العرب للطليان لدرجة لم تعد تثمر معها بعد ذلك في خلال السنوات الطويلة التالية ، أية محاولات لإزالة هذه الكراهية او تخفيف حدتها .

وليت فظائع الطليان انتهت عند مذبحه المنشية هذه !! ولكن هؤلاء الغزاة الذين أعلنوا وضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الايطالية التامة (٦ نوفمبر ١٩١١) ، سرعان ما صاروا يعتبرون المجاهدين لهذا السبب مجرد « عصاة » و « ثواراً » خارجين على « الحكومة الشرعية » في مقاومتهم .. ويستحقون لذلك الاعدام شنقاً او رمياً بالرصاص ، إذا ما وقعوا في أيديهم .

فطفقوا من ثم ، يشنقون الرجال زرافات ووحداً من غير تحقيق أو محاكمة في طرابلس ، ودرنة ، وغيزهما من المدن ، ويفتكون بكل عربي « يبلغ عمره الرابعة عشر فما فوق » بتهمة المحاربة في مؤخرة الطليان .. سواء اشترك في أعمال المقاومة ، أم لم يشترك .

وكانت دعوى الطليان في ذلك ، أن مجرد استيلائهم على مدينة طرابلس ، والمدن الأخرى الساحلية ، من شأنه وحده فقط ، أن يجعل جميع العرب الموجودين في هذه الأماكن « رعائيا طليان » .

ولذلك ، إذا حمل أحد هؤلاء العرب سلاحاً للدفاع عن نفسه ، أو وطنه ، ضد الغزاة المعتدين ، أصبح « ثائراً » ، أو « عاصياً » ، وحق عليه الإعدام عند القبض عليه ، من غير محاكمة !!

ثم أنه كان من اسباب زيادة كراهية العرب للمعتدين الطليان ، ان هؤلاء الغزاة الفاتحين ، بمجرد ان تبين لهم إصرار الأهليين على المقاومة .

وكان الهلع والجبن من أسباب انهزام الطليان تقريباً ، في كل موقعة يشتبكون فيها وجهاً لوجه ، مع المجاهدين البواسل .. سرعان ما صاروا يستقدمون النجيدات من (أرتريا) المستعمرة الايطالية في افريقيا الشرقية ..

فاشترك (العساكر) الأحباش في مواقع كثيرة ..

ثم لم يكتف الطليان بذلك ، بل صاروا يستخدمون أيضاً ،

نوعاً من الرصاص المتفجر الذي يحطم اجسام المصابين تحطيماً لا
ينفع فيه معالجة ، ولا يرجى منه شفاء ، منتهكين في فعالهم هذه
حرمة قوانين الحرب وتقاليدها .

ولعل اعظم اخطاء الايطاليين خطورة ، كان مسعاهم من
أول الأمر في أن يكسبوا هذه (الحملة) صبغة دينية عريقة .

فقد بارك قساوستهم اساطيل الحملة عند خروجها ..

ودقت النواقيس ، واقيمت الصلوات ، ووزع رجال الكنيسة
الصلبان المهداة من البابا ، إلى هؤلاء الصليبيين الجدد .

وافرط الطليان عند كل مناسبة في الاحتفال بالنصر في كنائسهم
مهما كانت هذه الانتصارات المزعومة قليلة الأهمية ، ومهما كان
مشكوكاً في نتائج المعارك التي وجد الطليان شجاعة كافية
لخوض غمارها .

ثم لم يقنع الطليان بالاحتفال بالنصر في بلادهم ، بل جعلهم
سوء التدبير وعدم الفطنة يقيمون هذه الاحتفالات في مدينة
طرابلس ذاتها ، يقدمون الشكر لله العزيز الذي مكنهم من انتزاع
(الهلال) ، وإعلاء (الصليب) مكانه ..

فأثارت هذه الحماقة ثائرة المجاهدين واشعلت في نفوسهم الكراهية

للمعتدين الآثمين .

ولم يكن الأتراك في حاجة لأن يتخذوا من حماقة الطليان
هذه وسيلة لتحريك العرب وحشهم على المقاومة والدفاع عن انفسهم
فقد تدفقت جموع المجاهدين بمجرد ان ذاع خبر اعتداء الطليان
على طرابلس وبرقة ..

وسرعان ما ازال اعتداء الطليان كل اثر للخلاف بين الكفرة
والقسطنطينية .

عمر المختار في المعركة

ضرب الطليان بمدافعهم من البحر المواني البرقاوية ، في الوقت الذي اعتدوا فيه على ميناء طرابلس الغرب .

واستطاعوا في ٢٤ اكتوبر ١٩١١ أن يحتلوا طبرق ، ثم نزلوا في درنه .. يوم ١٧ اكتوبر ، ونزلوا في بنغازي بعد ذلك بيومين ..

ومن أول الأمر قاومهم العرب مقاومة شديدة ، فالتحموا معهم في الليلة الثانية من نزولهم إلى بنغازي ، وهزموهم في محلة يقال لها الصابري .

وكان العثمانيون قد اشتبكوا مع الطليان يوم نزولهم نفسه في معركة حامية تعرف باسم (وقعة جوليانة) ..

ولكن الجند العثمانيين لم يستطيعوا الصمود أمام الطليان الذين استمرت سفنهم الحربية تضرب بنغازي بمدافعها من البحر ، فانسحبوا

على مسافة ثلاثين كيلومتراً من المدينة .

غير ان الموقف سرعان ما تبدل عندما انتشر في طول البلاد وعرضها خبر اعتداءات الطليان على برقة وطرابلس ..

واستنفر الزعماء السنوسيون في بنغازي وغيرها ، بشيوخ الزوايا للجهاد ..

فكان شيخ زاوية المرج ، أول من خرج بجيش ، لنجدة الأتراك ..

فاستنفر قبيلة العرفا - وكان شيخاً على زاويتها - وقبائل أخرى ..

فكان وصول هذه النجدة مثبتاً لأقدام العثمانيين ، الذين استطاعوا مع السنوسيين مقابلة الطليان ، ثم ارغامهم على التقهقر إلى بنغازي ..

وفي بنغازي اطمأن الطليان إلى حماية أسطولهم ؛ وأما العثمانيون والعرب فقد اتخذوا (الرجة) مقراً لهم .

وكان كذلك في مقدمة الذين خفوا لنجدة العثمانيين والالتحام مع العدو في برقة : السيد عمر المختار .

فقد كان رحمه الله يزور شيوخ السنوسية بالكفرة ، وفي أثناء

رجوعه من هذه الزيارة إلى زاويته (القصور) بلغه نبأ نزول
الطليان في بنغازي واحتلالهم لها ..

وكان وقتئذ بواحة (جالو) ، فلم يلبث بمجرد وصوله إلى
(القصور) ، أن أمر قبيلة العبيد ، المنتسبة لزاوية القصور
بالاستعداد للحرب .. ثم تبع السيد عمر بقية شيوخ الزوايا ..

واستمر السنوسيون بقيادته ، بعد ذلك ، يضيقون الخناق على
العدو خصوصاً عند (بنينة) ، حتى جاء القائد التركي أنور بك
المصري إلى بنغازي ..



وقد اهتم أنور بك منذ وصوله إلى برقة بالطواف بالقبائل
وزيارة الزوايا السنوسية ودعوة الجميع للجهاد .

كما كان لوجود كبار السادة السنوسية ، السيد محمد إدريس ،
والسيد محمد الرضا ، والسيد محمد عابد في المعسكر العثماني ، في
هذه الآونة ، اكبر الأثر ، في التفاف العرب المجاهدين ، حول
القائد العثماني .

وعلى ذلك ، فقد استطاع أنور مناوشة العدو بنجاح ، طول

شهر ديسمبر ١٩١١ ..

ثم التحم المجاهدون مع الطليان ، في معركة كبيرة واستولوا على غنائم كثيرة .. وقتل من الأعداء ، ما يزيد على الألف ، بينهم كثيرون من الضباط .

وعندما تدفق السنوسيين على ميدان القتال ، اشتبك المجاهدون مع الطليان في مناوشات كثيرة ..

ثم التحموا معهم في منطقة بنغازي ، وهاجموا بنغازي . وتحمل الطليان عناء كبيراً في الدفاع عنها .

وبعد حضور عزيز بك المصري ، قائداً لمنطقة بنغازي .. جرت وقائع كثيرة ، فهجم العرب على استحكام (مشويليك) ، وقضوا على الحامية الطليانية به .

وفي ٢٢ فبراير سنة ١٩١٢ ، هجم العرب (السنوسيون دائماً) على استحكام الطليان عند (اللثامة) .

وعندما حاول الطليان بعد أربعة أيام احتلال (عز يونس) ، على شاطئ البحر ، وزحفوا اليها من جهة استحكاماتهم في (شويليك) ، صدمهم العرب عنها والحقوا بهم الهزيمة .

وفي ١٢ مارس ، التحم الفريقان في معركة (سواني عبد

الرائي (المشهورة عند الطليان باسم معركة النخلتين .

ويقول الأمير شكيب ارسلان :

وفي ١٢ مارس جرت وقعة الفويحات الشهيرة ، وكان سببها ان ٢٠٠ عربي دخلوا بين استحكامي الفويحات والبركة ، فثار في وجوههم الطليان ، واشتد الحرب ، وأحاط الطليان بهذه المائتي مجاهد من العرب .

« وقصد عزيز بك المصري ومن معه من العرب ، إمداد هؤلاء العرب فلم يتمكنوا من ذلك بسبب القنابل التي كانت تتساقط كالطر من البر والبحر ..

« فلبث هؤلاء العرب يقاتلون مستميتين إلى الظلام .. وعند ذلك نجا فلتهم ، ولحقوا بالمعسكر العربي بعد قتال استمر طول النهار .. ويقال انه نجا ٨٠ رجلاً ، من المائتين ..

« وأما الطليان ، فقتل وجرح منهم الف وخمسمائة مقاتل ، بينهم ٢٨ ضابطاً برتب مختلفة ، وجنرال برتبة لواء ، وأصيب بالجنون عدة ضباط من هول تلك الواقعة .

« وكانت هذه الواقعة قد شقت كثيراً على العرب ، وقامت

النوادر تندب اولئك الأبطال الذين حالت مدافع الطليان دون
إمكان نجاتهم .

« وبينما العرب في مآتم على قتلاهم وردت برقية من أنور ،
القائد العام في درنه ، إلى عزيز بك المصري ، قائد مجاهدي
بنغازي عن برقية من الاستانة ، عن برقية من برلين ، عن برقية
من رومه تفيد ان وقعة الفويحات هذه كانت من أشد المصائب على
الطليان ، خسروا فيها ألفاً وخمسمائة مقاتل ، ومنهم ضباط
كثيرون قتلوا ، ومنهم من أصابهم الجنون ، من هول ذلك
اليوم .

« وكانت جميع معسكرات الجيش العثماني تبعد عن السواحل
مسافات تتراوح من ١٥ كيلومتراً إلى ٢٠ كيلومتراً نحو الجنوب ،
وذلك لتكون مصونة من قنابل مدافع الصحراء الطويلة المدى
ومدافع الأسطول الايطالي .

« وأما الخطوط الأمامية ، فلم تبعد عن معسكرات العدو
أكثر من ٥ كيلومترات .

« وينقسم ميدان بنغازي إلى ثلاث مناطق ، وكان قائدها
العام أنور بك (الذي عين وكيل القائد العام في سنة ١٩١٤ في
الحرب العظمى) وهي :

» - (المنطقة الأولى) ، بنغازي ، بقيادة عزيز بك
المصري ..

» - (المنطقة الثانية) ، درنة ، بقيادة مصطفى كمال بك ،
(رئيس جمهورية تركيا الغازي مصطفى كمال باشا) ..

» - (المنطقة الثالثة) ، طبرق ، بقيادة ناظم بك .. «

تركيا تسلم ليبيا

إلى إيطاليا

بيد أن الحرب الليبية - الإيطالية ، في هذه الآونة ، كانت قد وصلت « من الوجهة الرسمية » إلى نهايتها بين تركيا وإيطاليا ، عندما قبل العثمانيون ، تحت ضغط الدول الأوروبية ، وبسبب الهزائم التي أصابتهم في ميادين أخرى ، الدخول في مفاوضات من أجل عقد الصلح مع إيطاليا ..

وبدأت هذه المفاوضات فعلاً في لوزان ، في ١٢ يوليو ١٩١٢ .

ولم تؤثر رغبة المجاهدين ، في الأقطار الليبية شيئاً ، في تعطيل أو وقف مفاوضات الصلح ..

حتى إذا تلبد الاتفاق السياسي في بلاد البلقان ، وتخرجت الأمور في هذا الجانب من ممتلكات الدولة العثمانية ..

ووجدت تركيا ، أن لا مناص لها من خوض غمار حرب جديدة في النهاية ، بادرت الوزارة بانتداب أحد أعضائها للسفر إلى المؤتمر مزوداً بسلطات واسعة ..

فوقع الفريقان على معاهدة الصلح في اوشي (لوزان) في ١٨ أكتوبر ١٩١٢ ..

وبمقتضاها تعهدت الدولتان بإيقاف الحرب ، وتعهد العثمانيون باستقدام ضباطهم وجيوشهم وموظفيهم المدنيين من طرابلس ..

ومع هذا ، فقد كان موقف العثمانيين وقتئذ في غاية من الحرج فهم من ناحية ، كانوا مضطرين إلى التفرغ لمواجهة الحرب الجديدة في البلقان .

بينما كان تخليهم من ناحية أخرى عن طرابلس الغرب ، أمراً يسقط من هيبتهم في نظر شعوب العرب .. وبلدان الخلافة الإسلامية ..

أضف إلى هذا ، أنه لم يكن من الهين .. على الحكومة العثمانية .. أن تقبل انسلاخ الأقطار الليبية .. عن جثمان الدولة ..

ولذلك ، ظلت تركيا ، في الفترة القصيرة التالية من تاريخ

توقيع معاهدة (أوشي) ١٩١٢ ، إلى وقت قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ .. تتردد بين أمرين :

بذل المساعدة للسنوسيين وحضهم على مواصلة الكفاح والقتال ضد إيطاليا .. أو العمل على احترام نصوص المعاهدة ومنع المساعدة عن السنوسيين ، خوفاً من استثارة الطليان ، ضد تركيا ، في الحرب البلقانية ..

وقد استمرت تركيا مترددة بين هذين الأمرين ، حتى إذا قامت الحرب العالمية الأولى ، قررت مؤازرة السنوسيين . وذلك مما جعل من الأقطار الليبية ميداناً للحرب تشنها على الدول المتحالفة الغربية ، وخصوصاً عندما انضمت إيطاليا في عام ١٩١٥ إلى جانب هذه الدول المتحالفة .

وعلى ذلك لم يتوقف الجهاد ضد الإيطاليين في ليبيا ، على الرغم من توقيع تركيا معاهدة (أوشي) .

وعبثاً حاول الطليان ان يشنوا القائد العام الجديد عن مواصلة الكفاح ، عندما أبلغوه نبأ عقد الصلح ودعوه إلى التسليم ؛ فقد أبى عزيز بك أن يسلم اليهم وقرر الجهاد إلى النهاية ، وظهر في ذلك الكفاح السيد عمر المختار بسالة نادرة ومقدرة كبيرة .

عزيز المصري يقود المعركة

استأنف عزيز المصري العمليات العسكرية في برقة ، بكل جد
وهمة رغم تسليم تركيا البلاد إلى إيطاليا .

وفي هذه الظروف ، قررت الحكومة الإيطالية احتلال الجبل
الأخضر ، والتحم الطليان مع المجاهدين في معارك متعددة في المنطقة
الغربية والوسطى .

وفي ١٦ مايو ١٩١٣ ، حصلت في الجبل الأخضر (واقعة يوم
الجمعة) المشهورة ، وهي الواقعة التي اشترك فيها السنوسيون مع
القبائل ، وساهم فيها الضباط العثمانيون ، وانهزم الطليان وارتدوا
إلى درنة .

بيد ان الصعوبات الشديدة سرعان ما أحاطت بالمجاهدين من
كل جانب لانقطاع الموارد عنهم من أسلحة وذخائر ومؤن وغير
ذلك ، ثم بسبب ما نجم عن الضغط الجديد الذي استخدمته إيطاليا
مع الدولة العثمانية حتى تأمر هذه الأخيرة باستدعاء بقية القوات

التي ظلت تحارب في برقة بالرغم من عقد الصلح ، وتكف عن مساعدة المجاهدين إطلاقاً ..

أضف إلى هذا ، ما فعلته إيطاليا ، حتى تصرف الحكومة المصرية عن إمداد المجاهدين في برقة بما يحتاجون اليه من أسلحة وذخيرة ومؤن .

وكان الشعب المصري من اسبق الشعوب إلى نجدة المجاهدين ومساعدتهم .. إلا أن الحكومة المصرية - وقد كانت حكومة انجليزية - وقفت من أول الأمر موقف الحياد من النزاع القائم ، فعين الانجليز بدلاً من المأمورين المصريين في الحدود الغربية .

ومنعوا اهل برقة وطرابلس من دخول الأراضي المصرية ، وفرضت على الحدود مراقبة صارمة حتى تعطلت التجارة بين طرابلس ومصر ، وأرغمت على العودة كل قافلة جاءت بالتاجر من هذه الأقطار الليبية ، ورفض (اللورد كتشتر) المعتمد البريطاني في مصر ارسال « بعض أورط » من الجيش المصري لمساعدة الأتراك ، كما رفض الموافقة على تطوع جماعة من الضباط المصريين في الجيش التركي ، وصرف بعض مشايخ الغربان عن رغبتهم في الالتحاق بصفوف المجاهدين في ليبيا ..

فكان لهذه الاجراءات أثر ظاهر في إضعاف قوة المقاومة ضد

الطليان في ليبيا ..

ووسط الايطاليون الخديوي عباس الثاني ، حتى يقنع السنوسيين بضرورة الاخلاص إلى السكينة .. ويجزل لهم الوعود الطيبة ، إذا هم قبلوا الأمر الواقع ، وكفوا عن مواصلة الجهاد ..

فقبل الوساطة .. ولكن السيد ، رحمه الله كان مصراً على ضرورة جلاء ايطاليا عن البلاد كلية قبل التفاهم ، في أي شيء ..

فأخفقت هذه الوساطة ..

بيد ان متاعب السنوسيين والمجاهدين في أثناء هذا النضال الشاق ، لم يكن مقدراً لها ان تنتهي عند ذلك ..

فإنه سرعان ما تعكرت العلاقات في معسكر المجاهدين بين القائد العام (عزيز بك المصري) وبين العرب .. ونجم عن ذلك حوادث يؤسف لوقوعها .

فقد صادف ان جاء وقت الحصاد ، في عام ١٩١٣ ، في أثناء اشتداد المقاومة ضد ايطاليا ..

فاضطر اغلب المجاهدين العرب ، إلى ترك الجيش والذهاب للحصاد ..

فعلم الايطاليون بذلك ، وانتهزوا الفرصة للهجوم على الجيش على غرة ، ولم يكن وقتئذ (عزيز المصري) موجوداً ..

فانسحب الجيش بمعداته الحربية إلى معسكر درنه .. واشتبك عزيز المصري مع الايطاليين في معارك دامية ، وانتصر المجاهدون على العدو في جملة وقائع ، وألحقوا به خسائر فادحة ..

وأخذ المجاهدون أسرى كثيرين بعثوا بها إلى (زاوية العزيات) لبعدها عن ميدان القتال ..

وأراد عزيز المصري ان يطلق سراح بعض هؤلاء الأسرى ، فعارض السنوسيون ، وكان هذا مبدأ سوء التفاهم بينهم وبين عزيز بك المصري ..

وازداد سوء التفاهم هذا عندما وصلت إلى عزيز المصري بعد ذلك برقية من الحكومة العثمانية تأمره بالانسحاب بمن معه من الضباط والجنود من برقه إلى السلوم حيث يجدون في انتظارهم باخرة عثمانية لنقلهم إلى تركيا ..

فشرع عزيز المصري يتجهز للانسحاب بما كان لديه من قوة وسلاح وذخيرة ، نحو الحدود المصرية ، وكان غرضه من الانسحاب بجنده النظامي وأسلحته ، ان يكون مستعداً لمقابلة الطواريء في

أثناء انسحابه إلى السلوم

ولكن هذا التصرف من جانب القائد العام لم ينل رضا
المجاهدين ، الذين عولوا على مواصلة القتال ضد جند إيطاليا ..
فساءهم أن يخرج عزيز المصري ، بجنده النظامي ، وأن يحرم
المجاهدون الأسلحة والذخائر التي كانوا بحاجة شديدة إليها بسبب
انقطاع الموارد عنهم .

فطلبوا إلى القائد المنسحب ، أن يسلمهم الأسلحة التي مع
عسكره إلى العرب ، لا يتفق مع الأصول الحربية التي تقضي ،
بعد انعقاد الصلح بين تركيا وإيطاليا ، بالألا يسلم العسكر العثماني
أسلحته لأعداء إيطاليا ..

زد على ذلك ، انه كان فيما يفعل ، يذعن للأوامر التي وصلته
من حكومة الآستانة ..

بيد أن ذلك ، لم يكن ليقنع المجاهدين الذين ، عندما يسوا
من تسلم الأسلحة سلماً 'كلف السيد عمر المختار لأخذها عنوة .

ولكن قبل وصول السيد عمر ، كان المجاهدون من قبله ، قد
أطلقوا الرصاص على الجند المنسحبين .. وكان هؤلاء قد خيموا ،
في (دفنه) غربي السلوم ، فصعدوا لهم ..

ومن ثم نشبت معركة حامية فسقط من العرب أكثر من
الستين قتيلًا ، وتقاطرت جموعهم من كل جهة بغية الانتقام من
(عزيز المصري) وعسكره ، وكاد يحدث التحام كبير ؛ لولا أنه
استطاع الوصول إلى السلوم ..

وفي ١٦ يوليو ١٩١٣ .. بلغ الاسكندرية ، ومنها ذهب إلى
الاستانة .

عمر المختار

يتسلم القيادة

انسحب عزيز المصري بكامل قواته وسلاحه ، وبقيت البلاد خالية من وسائل الدفاع ومعرضة لهجوم العدو ..
وفي هذه الظروف الشديدة ، صمد السنوسيون في وجه الطليان ..

ثم أسندت قيادة المجاهدين إلى السيد عمر المختار ..
ولم يتردد هذا المغوار في قبولها ، فشكل جيشاً وطنياً جعل من خطته التزام الدفاع والتربص بالعدو ..

حتى إذا خرج الطليان من مراكزهم ، انقض المجاهدون عليهم فأوقعوا بهم شر مقتلة ، وغنموا منهم أسلاباً كثيرة أمدتهم في

الحقيقة بأكثر الأسلحة والعتاد ، ودواب النقل ، مما كانوا في حاجة ملحة اليه جميعه ..

وظل الحال على هذا المنوال ، حتى نشبت الحرب (العظمى) العالمية الأولى في أغسطس ١٩١٤ .

بقي السنوسيون وحدهم يديرون دفعة الحرب ، في الشهور التالية ..

فوزعوا جنودهم النظاميين على مراكز متعددة في المناطق المختلفة حتى يجمعوا حولهم القبائل العربية في جهود متصلة ضد الايطاليين الذين كانوا قد فصلوا برقة عن طرابلس ..

وأنشأوا ، لكل من الاقليمين ، حكومة منفصلة منذ سبتمبر ١٩١٣ .

ولما كان السنوسيون ، قد اتخذوا خطة مفاجأة المعسكرات الايطالية واشعال الثورة في الجهات التي يمثلها الطليان ..

فقد اضطر الطليان إلى تقسيم قواتهم إلى جماعات على استعداد لمقاومة هجوم المجاهدين والاغارة على مراكز العرب في الجهات التي دخلت في حوزة الطليان .

وعلى ذلك اشتبك الايطاليون مع المجاهدين في جملة معارك
بدأت من فبراير ١٩١٤ .

بيد أن اشتعال الحرب الكونية الأولى ، لم يلبث ان ادخل
تغيراً كبيراً على الموقف في برقة ، وأحى آمال السنوسيين في
القدرة على مواصلة الكفاح بنجاح ضد ايطاليا .

في الحرب العالمية الاولى

اسرعت تركيا بالدخول إلى جانب ألمانيا ، لأنها كانت عظمة
الثقة في انتصار الألمان على الحلفاء (إنجلترا ، وفرنسا ،
والروسيا) ..

هذا .. بينما انحازت إيطاليا إلى جانب هذه الدول المتحالفة
في مارس ١٩١٥ ، لتحقيق مطامعها في البحر الأبيض المتوسط ،
وفي أفريقيا الشمالية ..

وهكذا وجد الأتراك أنفسهم في نزاع جديد مع إيطاليا ،
وعندئذ قرروا استئناف النضال في الأقطار الليبية .

ولم يدفع الاتراك إلى مؤازرة السنوسيين في هذه المرة سوى
رغبتهم في اتخاذ برقه ميداناً يرسلون منه جيشاً كانوا اعتزموا
إعداده لغزو الأراضي المصرية ..

لان الالمان قرروا ، بالاشتراك مع العثمانيين ، إرسال حملة من الشام للاغارة على قناة السويس وغزو مصر من الجهة الشرقية ، ورأوا لضمان نجاحها ، انه لا بد. أن يشغل الانجليز ، في الوقت نفسه ، بأمور الدفاع عن مصر ، من جهة حدودها الغربية ، حتى تتوزع قواتهم .. ويسهل على الالمان والعثمانيين ، تنفيذ مآربهم ..

وحضرت الرسل من قبل الاتراك والالمان لمقابلة السنوسيين ، وجاءوا في غواصة المانية أنزلتهم بالسلوم ..

وتمت المقابلة .. وكان واضحاً أن الاتراك والالمان ، إنما يريدون أمراً واحداً فقط ، هو ان يشترك السنوسيون معهم في الهجوم على حدود مصر الغربية .. وتجهيز حملة كبيرة لهذه الغاية ..

ولم يكن من رأي السنوسيين ، ولا من رأي بقية المجاهدين ، مهادنة إيطاليا ، ذلك العدو القديم ، ومنازلة دولة هي إنجلترا ، لم يقم بينها وبين السنوسيين ، حتى هذا الوقت ، سوى أحسن العلاقات واصفاها .

وكان السيد محمد إدريس المهدي ، ابن عم السيد أحمد من أشد المعارضين لمشروع الحملة ضد الحدود المصرية .

وأخيراً ، وبعد تردد طويل ، قرر السنوسيون ، أن
يشتركوا مع العثمانيين والالمان ، في الزحف على حدود مصر
الغربية .

وعندما وصل السنوسيون إلى هذا القرار ، استدعى نوري
بك رسول الأتراك ، وخاطبه السيد قائلاً :

« هوذا أنا حاضر للمسير فلا تقدر أن تقول إن العائق كان
مني ، وإنما إذا فشلت هذه الحملة فلا أكون أنا المسئول » .

وعندئذ أرسل السنوسيون قوة لاحتلال سيوه ، فتم لهم
ذلك ، وأما السيد نفسه ، فقد سار بالجيش - وعدده أربعة
آلاف مقاتل - ومعه القائدان التركيان ، وغرضهم الهجوم على
السلوم .

فاخلى الانجليز ، منطقة السلوم ، ثم (بقبق) وتقهقروا
داخل الحدود ، واندروا في الوقت نفسه القائد العثماني (نوري) ،
بأنه إذا تجاوز بجيشه نقطة سيدي براني إلى الشرق ، صمدوا له
وقامت الحرب .

ولكن نوري لم يأبه بهذا الانذار ، بل ظل في تقدمه حتى
تجاوز العرب سيدي براني .. وبلغوا في زحفهم غربي مرسى
مطروح ..

وعندئذ جهز الانجليز لقتالهم جيشاً بلغ الثلاثين ألفاً من مشاة وفرسان إلى جانب عدد كبير من المدافع ، فقامت بين الفريقين معارك ساهم فيها محمد صالح حرب ، قومندان مرسى مطروح بنصيب وافر .



وقصة محمد صالح حرب هنا قصة شائقة ..

ذلك أن القوات المصرية الخاضعة للقومندان المصري (محمد صالح حرب) في ذلك الوقت كانت موزعة بين مرسى مطروح والسلوم وسيدي براني وقربة (عند واحة سيوه) .

وكانت قوته في المرسى ، تتراوح بين خمس وأربعين وخمسين جندياً ، عدا أربعة من الضباط و (باشكاتب القسم) فخرج بهم جميعاً وسط السيارات المدرعة ، وكانوا جميعاً ما عدا أحد الضباط فقط مجهلون نواياه .

ولم يشك الانجليز في أنه كان يعتزم القيام بعملية كشف (أو دورية) بوصفه قومندان مرسى مطروح ، فافسحوا له الطريق ، واتجه صوب السلوم ..

ثم أخذ يمر في طريقه بعمد ومشايخ مرسى مطروح ويضمهم

اليه ، وعند الفجر ، جمع صالح حرب الرؤساء والضباط والمشايخ
والعمد وخاطبهم قائلاً :

« نقف الآن بين معسكرين ، أحدهما معسكر الانجليز ..
أعداء الله والوطن ، الذين رفعوا علينا الحماية ، والآخر معسكر
العرب والأتراك الذين يقولون إنهم جاءوا ليخلصونا ، وقد أقنعني
ضميري وواجبي الديني ، بعدم البقاء مع الانجليز ، وقد خرجت
في سبيل الجهاد ضدهم ، فمن كان منكم يحرص على حياته ، أو
تلتزمه أية مسئوليات عائلية بالعودة إلى مرسى مطروح ، فلنني لا
أحول بينه وبين العودة ، إنما على شريطة أن يترك ما معه من
سلاح ومؤونة » .

فلم يرغب أحد منهم في العودة ، بل أبدوا جميعهم تصميمهم
على البقاء إلى جانب رئيسهم :

« يعيشون معاً .. ويموتون معاً » ..

وعاهدوا الرئيس على الجهاد ، ومن ثم بدأت الثورة بصورة
علنية ، واستجاب له عربان قبائل أولاد علي ..

ثم انتشرت الثورة في انحاء الصحراء الغربية حتى مريوط ..
وكان انتشارها مفاجئة للإنجليز ، لأنه ما كان يخطر ببالهم أن يشور
أولاد علي والضباط المصريون عليهم .

وسرعان ما نشبت بين الانجليز ، والجيش الزاحفة معركة
بئر تونس ، وكانت حامية الوطيس ، غير أن المجاهدين كانت تنقصهم
المؤن والذخائر فاضطروا إلى التقهقر .

وعندئذ عقد السنوسيون مجلساً حرياً لبحث الحالة ، وما
وصلت إليه من تدهور ، وأنحوا باللائمة على الأتراك الذين تسرعوا
في بدء هذه العمليات العسكرية ، على الرغم من عدم استكمال
الاستعدادات اللازمة لها .. الأمر الذي سبب تردد السيد أحمد ،
واعترضه السابق عليها .

ثم قال السيد مخاطباً القواد الأتراك :

« فما رأيكم وقد أوصلتمونا إلى هذا الحال ، وظهر اني كنت
على هدى وكنتم على ضلال ؟ »

وبعد تداول الرأي ، رأى السنوسيون أن تنقسم القوة
فريقين ، فريق يذهب إلى الجنوب وهدفه احتلال الواحات ، وكان
يتألف من حوالي خمسمائة وثلاثة آلاف جندي ..

وفريق آخر وعدده ستة آلاف جندي تقريباً يبقى في
الشمال ..

وعهد بقيادة الجناح الجنوبي إلى محمد صالح حرب بينما تولى
جعفر العسكري قيادة الجناح الشمالي ..

وبقي نوري باشا قائداً عاماً على الجناحين على أن يظل مع
جعفر باشا العسكري في الشمال ، وينتقل السيد أحمد الشريف إلى
الجنوب ..

ثم منح السيد أحمد ، بما له من الحق كنائب الخليفة الأعظم ،
رتبة اللواء الفخرية لصالح حرب باشا ..

ثم قصدت قوة نوري بئر الكلاب ، بينما تحركت قوة صالح
حرب والسيد أحمد الشريف قاصدة سيوه .



وحدث عند بئر الكلاب ، أن فاجأ الانجليز قوات نوري
وجعفر العسكري ودارت بين الفريقين معركة شديدة عرفت
باسم معركة العقاقير شرقي سيدي براني في فبراير ١٩١٦ ..

فكانت معركة فاصلة ، جرح فيها جعفر ، وأفلت نوري
من أيديهم .. بأعجوبة بعد أن أبلى ، هو وضباطه والجيش ..
بلاء حسناً .

وكان من أثر هذه المعركة أن تشتت شمل القوات الشمالية
تماماً ، واستطاع الانجليز مطاردة فلول الجيش ، وتعقبهم
السيارات المدرعة متوغلة في برقة ، حتى دخلوا السلوم ، في

مارس ١٩١٦ ، واستولوا على معسكر السنوسيين والمجاهدين بها .
واستطاعت قوة صالح حرب ، الوصول بسلام إلى سيوه ،
ثم نزلت من سيوه إلى الواحات البحرية والفرافرة والداخلية .
واستمرت حرب العصابات ضد الانجليز ، طول عام ١٩١٦ ،
وأوائل العام التالي .

وكان أفرادها يقاسون شظف العيش ، حتى انهم كانوا لا
يجدون ما يرتدون أو ينتعلون .. وصاروا يعيشون على التمر وحده
عدة شهور .

واستمرت أعمال العصابات مقصورة على مهاجمة معسكر الإنجليز
في الخارجة والاشتباك مع دورياتهم بينما ظل هؤلاء يلقون قنابلهم
من الطائرات على العصابات ومراكز المجاهدين .

وأفلح صالح حرب في الغرض الذي سعى اليه من هذه الحركة
وهو احتجاز قوات إنجليزية كبيرة على الحدود الغربية .

وفي القطر المصري كان الانجليز في أشد الحاجة اليها في حملة
الدردنيل المشهورة .

واضطر الانجليز آخر الأمر ، إلى وضع خطة عسكرية كبيرة
الغرض منها القضاء على حرب العصابات قضاء مبرماً .

فقرر صالح حرب الانسحاب بقواته ، وتم الانسحاب في ظروف عسيرة شاقة ، حتى وصلوا إلى الجغبوب .

ثم غادر المجاهدون الجغبوب إلى واحات جبالو ، وأوجله على الرغم من طول المسافة .. ومشقات السير ، وانعدام وسائل النقل الكافية ..

ثم وصلت السيد احمد دعوة من استانبول لحضور حفلة تتويج السلطان الجديد محمد وحيد الدين (السادس) ، فغادر السيد أحمد الشريف ومعه محمد صالح حرب طرابلس على نفس الغواصة الألمانية التي أحضرت هذه الدعوة .

غير أنه قبل مغادرة السيد أحمد الشريف الأقطار الليبية بـده طويلة .. كانت زعامة المجاهدين في ليبيا، قد انتقلت إلى السيد إدريس السنوسي .

السيد

محمد ادريس المهدي السنوسي

نزل السيد أحمد الشريف عن الزعامة إلى صاحبها الشرعي
الذي كان وصياً عليه ..

وحمل السيد محمد إدريس السنوسي الرسالة في وقت شاق
وظروف عسيرة .

فبعد الفشل الذريع الذي اصاب المجاهدين تحت زعامة السيد
أحمد الشريف على أيدي الانجليز ..

كانت برقة تعاني الأمرين من جراء انتشار المجاعة بها وقتذاك
١٩١٥ ، بسبب احتباس المطر ، وغزو الجراد في العام التالي للبلاد
حتى أتى على الزرع وانتشر وباء الطاعون (خصوصاً في عام
١٩١٧) ..

وظل المطر محتبساً طوال هذه المدة تقريباً .. فكان أعظم
بلاء شهدته برقة في تلك الآونة ، هو بلاء المجاعة التي تسلل
شبحها الخيف يهدد البلاء بالفناء العاجل ، عندما صار يموت
الآلاف من الأهلين جوعاً ، فامتلات شوارع اجدايه بأشلاء
الموتى ، واضطر الأحياء إلى أكل لحوم هؤلاء الموتى .

بل ذهب الجوع بعقل امرأة فأكلت لحم ابنة لها ..

وطلب الأحياء الهزالي ، ما يسدون به الرمق من أي
ببيل .. واضطر كثيرون منهم ، إلى تسليم ما معهم ، من
الأسلحة .. إلى الأعداء الطليان .. لقاء حفنة من الأرز
يتبلغون بها .

هذا ، بينا الحدود المصرية مغلقة ، والمتاجر معطلة ، وكل شيء
ينذر بالفناء .

وقد كان السيد محمد إدريس معارضاً في الحملة على مصر ..
وكن لا ينفك يكرر النصيح للسيد أحمد حتى لا ينساق في أعمال
عدائية مع الأتراك ضد الانجليز لما يسببه ذلك من أضرار جسيمة
تلحق بالأقطار الليبية لا محالة ..

وأمام هذا كله ، وافق السيد الشريف ، على أن يبدأ

السيد إدريس المفاوضات مع الانجليز .. لانتقاذ البلاد مما هي فيه ..

واشترط الانجليز ، ضرورة الاتفاق مع الطليان ، قبل أن يتفقوا هم مع السنوسيين .

وقبل السنوسيون ذلك لظروف البلاد القاسية ، وحدث اتفاق مبدئي بين السنوسيين والطليان من جهة ، وبينهم والانجليز من جهة أخرى .

وكان السيد محمد إدريس يقصد من عقده مع الايطاليين هذا الاتفاق ، تحقيق أهداف معينة ..

أولها : إنهاء حالة الحرب التي أخذت بالبلاد وأهلها ، ثم فتح طرق للتجارة بين داخل البلاد وثغورها التي كانت بأيدي الايطاليين من وقت ابتداء الحرب .

ثم احترام الشعائر الاسلامية والمحافظة على الدين الاسلامي وأنظمة الشرع الحنيف والثقافة العربية .

وأخيراً ، رفع الأضرار التي لحقت بالجماعة السنوسية بأجمعها ..

ولا شك ،.. في أن السيد قد حقق مصالح المجاهدين العرب إلى أقصى غاية ..

وبسط لواء الأمن والسلام في برقة ، حتى تهدأ الأحوال في هذا القطر أولاً ، ويتنفس الأهليون الصعداء عند زوال الكرب الذي نزل بهم ... بسبب امتناع الأقوات والازداق عنهم ..

وكان من نتائج الاتفاق مع الطليان المباشرة كذلك ، إبرام اتفاق آخر مع الانجليز ، وفتح طريق السلوم للتجارة بين مصر وبرقة ..

وهو هدف زعماء وشيوخ البلاد .

ولا جدال ، في أن مصلحة البلاد ، كانت تقتضي إنشاء الحكومة الوطنية المنظمة ، يهيمن على شئونها السيد إدريس .. الذي استطاع بحكمته وبعد نظره ، ان يقر السلام في القطر البرقاوي ، حتى بدأ الاهلون ، من ذلك الحين ، يلقبون السيد « بالمتقذ » .

وضربت برقة مثلاً حياً لما يمكن أن يبلغه قطر يستمتع بوجود زعامة حازمة صالحة ، بينما كانت الأحوال في طرابلس على عكس ذلك ..

كانت الفوضى تضرب أطناها ، ويتقاتل زعماءها دائماً على أسلوب
عهود الاقطاع .

واخيراً قر رأي الزعماء الطرابلسيين على مبايعة السيد محمد
إدريس أميراً عليهم ، فيجمع بذلك إمارة القطرين : برقة
وطرابلس في قطر واحد ..

ذلك انهم ادركوا أنه لا سبيل إلى الخلاص البتة ، إلا بالاتفاق
والتعاون مع برقة ، وانحياز برقة إلى جانب طرابلس في القتال
ضد العدو الايطالي .

وقدم زعماء طرابلس كتاب البيعة ، بعد ان وقعوا عليه
إلى الامير ..

وأجاب الامير عليه قائلاً :

« وبعد ، فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها
رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجمعتم عليها في مؤتمر غريان
وجاهدتم لها جهاداً صادقاً بالانفس والثمرات في شخصي ،
فاخذتها داعياً الله أن يحقق آمال هذه الامة ، ويكمل مساعيها
كلها بالنجاح .

« ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي طالما سعيبت
اليها وجدت من واجبي أن اتلقى طلبكم بالقبول ، وأن أتحمل

المسئولية العظمى التي رأت الامة تكليفي بها ، فعلي اذن أنت
أعمل بجد معكم ..

« ولكن لا تنسوا ، إنني بغير إقدامكم وجدكم لا قدرة لي على
شيء .. إني أعلم أن الحياة الخالدة هي للأمم لا للأفراد ، وكذلك
الاعمال العظيمة الباقية ، هي التي تنصرف الى صالح الجميع .

« فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى كل عمل ثمرته
للأمة .. من حق كل شعب أن يسيطر على شئونه ، والناس
منذ نشأوا أحرار .

« وقد أظهر شعبنا في كل أدواره ، مقدار محبته للحرية ،
فدفع مهوراً غالية ، فلا يصح لاحد أن يطمع في استعباده
والاستبداد بشئونه .. لقد اشترطتم عليّ الشورى ، وهي أساس
ديننا ، وسأعمل على قاعدتها .. الخ » .

كان قبول البيعة في نوفمبر ١٩٢٢ ، بدء ظهور عداء الطليان
للأمير .. حيث كانوا يتوجسون خيفة من توحيد كلمة القطرين
الشقيقين .

فحاولوا التخلص منه بشتى الطرق ، ولجأوا إلى أخس هذه
الطرق وأشدّها جبناً ، بأن دسوا له السم في العقاقير التي يتناولها ،
ولكن الله سلم ونجا الأمير من كيدهم .

وكانت الامور قد ازدادت سوءاً بينه وبين الحكومة منذ
حدث الانقلاب الفاشستي بايطاليا في اكتوبر ١٩٢١ .

حتى اضطر الأمير إلى مغادرة البلاد ، ونزل مصر معزراً
مكرماً من حكومتها وشعبها ، فبلغ القاهرة في ٢٧ يناير ١٩٢٣ ،
وذلك بعد أن نظم وسائل الكفاح ضد الطليان .

تعيين عمر المختار

قائداً أعلى

نظم الامير خطة الجهاد قبل أن يرتحل عن بلاده ، وقر
رأيه على أن يعهد بالاعمال السياسية والعسكرية ، في برقة ، إلى
السيد عمر المختار نائباً عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين ، على
أن يتولى قيادتها جميعاً ..

كما نظم الجهاد في طرابلس ، وأعطى الاوامر اللازمة لاستمراره
على أحسن حال .

إلا أن الاقدار أرادت أن يتوقف الجهاد بطرابلس لاسباب
ليس هنا مجال تفصيلها .

وكان ذلك معناه أن الثورة قد انتهت فعلاً ، وأن الامر قد استتب
للطليان في طرابلس أخيراً .. وأن برقة وحدها هي التي أصبحت

تحمل على عاتقها عبء الجهاد منفردة ضد العدو .

فوقع بذلك العبء كله ، على السيد عمر المختار ، وكان البطل أهلاً لذلك .

وأول الصعوبات التي قابلت المختار أن والي برقة الجديد كان قد بدأ يحل المعسكرات المختلفة في برقة عنوة واقتداراً ، فحلت الحكومة في مارس كثيراً منها ..

ثم احتل اجدائية ذاتها في أبريل ١٩٢٣ ، وهي مقر الإمارة السنوسية ، وأعلن :

« أن كل الاتفاقات التي أبرمتها إيطاليا مع السنوسية قد أصبحت لاغية ، ولا أثر لها ، وإن السنوسية قد أصبحت مجرد طريقة تشبه غيرها من الطرق الإسلامية ، وإن نشاطها يجب أن يظل نشاطاً دينياً محدوداً فحسب » .

وفي ٣ مايو قابل الوزير الإيطالي في مصر ، الأمير وأبلغه أن الاتفاقات التي عقدها إيطاليا مع سموه قد أصبحت لاغية ، ولا وجود لها ..

ومن ذلك الحين ، بدأ النضال من غير هوادة أو لين بين المجاهدين والطلّيان في برقة .

وكان المجاهدون منذ احتلال إجدائية ، قد انسحبوا إلى الجنوب ، ثم رابطوا في زاوية القطوفية ، وجعلوا منها قاعدة لمناوشة الطليان في إجدائية ..

وشرعوا يوسعون دائرة عملياتهم حتى تشمل منطقة الجبل الاخضر بأكملها بقيادة السيد عمر المختار .

ووجد المختار ، وقد استؤنف الجهاد ، على نطاق واسع ، أن من واجبه الاتصال بالامير فوراً حتى يطلعه على ما وقع من حوادث ويتلقى من سموه التعليمات المفصلة بصدد الجهاد ضد العدو .

وعلى ذلك ، فقد قرر السيد عمر المختار ، الذهاب إلى مصر ، واستطاع اجتياز الحدود في منتصف عام ١٩٢٣ .

ثم تمكن من مقابلة السيد إدريس (بمصر الجديدة) ولقي كل إعزاز وتكريم .

وكان المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها وشيوخها ، وقد أظهر مبلغ ولائه العظيم لها في أثناء إقامته بمصر عندما حاول جماعة من قبيلة السيد عمر المختار ، وكانوا قد أقاموا بمصر ، أن يقابلوا السيد عمر للترحيب به .

فاستفسر المختار ، قبل ان يأذن لهم بذلك عما اذا كانوا قد

سعوا لمقابلة الامير عند حضوره إلى مصر ..

فلما اجاب هؤلاء بالنفي معتذرين بأن اسباباً غائلية قهرت منعتهم من تادية هذا الواجب .. رفض المختار مقابلتهم قائلاً :

« وكيف تظهرون لي العناية وتحضرون لمقابلتي ، وأنتم الذين تركتم شيخي ، الذي هو ولي نعمتي وسبب خيري ، أما وقد فعلتم ذلك ، فإني لا أسمح لكم بمقابلتي ، ولا علاقة من الآن بيني وبينكم » .

فما أن بلغ السيد إدريس ما فعله المختار مع الجماعة ، حتى أصدر اليه أمره بمقابلتهم فامتثل المختار لأمره .

وهذه ظاهرة تنم عن إخلاص الرجل لمبدئه وللدعوة التي ينتسب اليها .

وإن الرجل يرى ، أن من لم يحفل بدعوته يجب عليه أن لا يحفل به كذلك .

والواقعة الأخرى التي تدل على معدن الرجل الكريم ، أنه حدث عند خروجه من القاهرة إلى برقة لمواصلة الجهاد ، أن اجتمع مشايخ قبيلته الموجودون بمصر من المتقدمين في السن وحاولوا أن يثنوه عن عزمه بدعوى أنه بلغ من الكبر عتياً ... وأن

الراحة والهدوء الزم له من أي شيء آخر ، وأن باستطاعة
النسوسية أن تجد قائداً غيره لتزعم الثورة والجهاد في برقة ..
فغضب المختار غضباً شديداً ، وكان جوابه قاطعاً فاصلاً ،
فقال لمحدثيه :

« إن كل من يقول لي هذا الكلام لا يريد خيراً لي ، لأن
ما أسير فيه إنما هو طريق الخير ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عن
عن سلوكها ، وكل من يحاول ذلك فهو عدو لي » .

تلك الكلمات تدل على نفسية المختار دلالة ما بعدها دلالة ، تدل
على أن الرجل كان شهيداً يمشي على الأرض .

كان يريد أن يقاتل ويقاوم حتى يستشهد ، ويلقى الله
شهيداً ، وتلك هي نفسية المؤمن المخلص الصادق .

يحب الموت أكثر من حبه للحياة ، ويحب الآخرة أكثر من
الدنيا .. لأنه يعلم عن يقين أن الحياة الحققة ، هي الحياة الآخرة
لا الحياة الدنيا ..

وقد جاءه الشيوخ من قبيلته يحملون في قلوبهم ، ضعف
العزيمة ، ويأس الشيوخ .. فقابلهم بقلبه الحي المتوقد ، الذي يرى
ما لا يرون ، ويعرف ما لا يعرفون .

يعرف ان الحياة في الجهاد والاستشهاد ، وليست الحياة النائمة
الضائعة الساكنة بشيء ، وإنما هي الموت البطيء ، أو التعفن
والخسران .

وقد ظل المختار طوال سنوات الكفاح المريرة التالية على
عهده ، متمسكاً بولائه للسنوسية ، ويعمل لما فيه الخير لمصلحة
الجهاد والمجاهدين ببرقة ..

وكان المختار يعتقد اعتقاداً راسخاً ، أن هذا العمل ؛ إنما
هو فرض يؤديه ، وواجب ديني لا مناص منه ولا محيد عنه ،
وكان لنشأة المختار في أحضان دعوة السنوسية ، وتحت رعايتها
أعظم الأثر في ذلك .

★

ولد السيد عمر من أبوين صالحين عام ١٨٦٢ م .. ووالده السيد
مختار بن عمر من قبيلة المنفة .. وقد توفي الوالد في أثناء سيره
إلى مكة المكرمة .. لأداء فريضة الحج وبصحبه زوجته الحجة
عائشة والدة المختار .

فاوصى الوالد أحد رفاقه بولديه عمر ومحمد خيراً .. وكان

ولداه يقيان وقتذاك بزوزو يدرسان بزوايتها .

وتلك أول بادرة جدية بالالتفات في حياة الرجل .

فقد ذاق الرجل مرارة اليتيم في صغره ، فكان هذا هو أول الخير في قاب البطل ، ذلك أنه يتيم ، منكسر ، والقلب المنكسر يشعر بالآلام الناس .

فاذا صادف مثل هذا القلب الإيمان ودخله حب الله وتغلغل فيه ، تحول إلى قلب نوراني رحيم يلجا إلى الله القوي المتين في كل أمره ، ويحنو على الضعفاء والمساكين دائماً ..

ثم ما لبث عمر المختار أن ذهب إلى زاوية الجغبوب لإتمام دراسته .. فمكث بها ثمانية أعوام ، وأظهر المختار من الصفات الخلقية السامية ، ما حجب فيه شيوخ السنوسية وزعماءها ، فتمتع بعطفهم ، ونال ثقتهم ..

حتى أن السيد محمد المهدي السنوسي عند انتقاله من جغبوب إلى الكعرة ١٨٩٥ م اصطحب المختار معه .

وفي عام ١٨٩٧ عينه السيد المهدي شيخاً لزاوية القصور بالجبل الأخضر قريباً من المرج ، وكان يقطن بهذه الزاوية وحولها قبيلة العبيد ، وهم أناس عرفوا بشدة المراس وقوة الشكيمة ..

وقد اختاره السيد المهدي لهذه الزاوية حتى يسوس شئونهم باللين تارة وبالعرف تارة أخرى .

وحقق المختار ما عقده السيد المهدي على إدارته الحازمة من آمال .

وعلى ذلك ، فإنه عندما قرر السيد المهدي الانتقال إلى السودان الغربي ، في الظروف التي سبق ذكرها ..

كان المختار في طليعة من ذهبوا إلى قرو ، وذلك حتى يسهم بنصيب وافر في النضال ، الذي نشب وقتذاك بين السنوسية والفرنسيين في المناطق الجنوبية وحول واداي .

وأقام المختار في قرو مدة من الزمن ، ثم عينه السيد المهدي ، شيخاً لزاوية « عين كلك » .

فاستمر المختار بالسودان الغربي وقتاً طويلاً نائباً عن السيد المهدي .. ويقوم بتعليم أبناء المسلمين .. وينشر الإسلام في هذه الأصقاع النائية .

وهنا ينبغي أن نقف قليلاً ونفكر في أحوال الرجل ، فيتبين لنا أنه كان داعية كبيراً ، يدعو إلى الإسلام وينشره بالفكرة والإقناع والإرشاد والتوجيه ، فهو أستاذ في هذا الفن كذلك ،

يعلم من أمور دينه الكثير ، فقه ودرس ..

ثم أخذ يعلم الناس كما علمه الله .

وأبت نفسه الكبيرة ، أن يكتم ما يعلم ، وانطلق يبشر برسالة الإسلام ، وينقل ما يستطيع من الناس من الضلالة إلى الهدى .. ومن الظلام إلى النور .



وبعد وفاة السيد المهدي (١٠٠٢ م) استدعي المختار إلى برقة ثم عين في العام التالي شيخاً لزاوية « القصور » مرة أخرى .. فبذل همه في حكم قبيلة العبيد ، وسياسة شئونها ، حتى سلس له قيادها ..

وشكرت له الحكومة العثمانية هذا النجاح ، واستتباب الأمور في القصور ، لأن العبيد كانوا من اكبر القبائل عناداً ، ويعجز العثمانيون عن إخضاعهم لسلطانهم ..

فظل الحكام العثمانيون في برقة يلجأون إلى المختار حتى يساعدهم في جمع أموال العشور والضرائب ..

وبقي المختار في زاوية القصور ، إلى أن نشبت الحرب الليبية

الايطالية .. فكان السيد عمر من اوائل أولئك الذين لبوا نداء
الجهاد وحملوا لواءه .

وتلك موهبة أخرى للبطل الشهيد .. فقد كان الرجل موهوباً
بفطرته ، حبه الأقدار موهبة الحكم والفصل بين الناس ، والقدرة
على الإدارة الحازمة .

قبيلة عاتية ، تحار فيها السلطات الرسمية ، يأتيها الرجل
فتنقاد وتطيع وتمضي على نظام مكين .. وما ذلك إلا لأن روح
الرجل ، روح قوية تؤثر سريعاً في كل من رآها أو خالطها أو
عمل معها .

وقد ظلت هذه الصفة فيه إلى آخر لحظة من حياته .



وكان المختار وقت نزول الطليان في بنغازي ١٩١١ م ، بواحة
جالو ، فخف إلى القصور مسرعاً ، وخرج بنجدة عظيمة من العبيد
إلى مقر الجيش العثماني في الرجمة ، ثم اشتبك مع الطليان في معارك
عدة فهاجمهم في بنغازي ..

ودأب على التنقل بين القصور وتكنس ، حتى احتل الطليان
هذه الأماكن في سبتمبر ١٩١٣ .. فقاد المختار المجاهدين في

معسكرات جبل العبيد .. وعهد اليه السيد ادريس بمهمات عدة ،
واتخذ من منطقة دفنا مجالا لنشاطه الواسع بين القبائل .

وعندما اشترك السيد احمد الشريف في غزو الحدود المصرية
الغربية ، ووقعت المصادمات بين العرب والانجليز ، اسهم المختار
في هذه العمليات العسكرية .. ثم لازم المختار السيد إدريس لتلقي
اوامره ..

وهكذا امر المختار نفسه ، واثبت انه القائد دائما ، السباق الى
الجهاد دائما ، الراغب في الموت دائما .

وفي يونيو ١٩٢٢ كان من اكبر الساعين في تأليف جبهة متحدة
تضم البرقاويين والطرابلسيين من اجل النضال ضد ايطاليا .

وعندما قرر السيد ادريس مبارحة برقة ، عهد بقيادة المجاهدين
العليا الى السيد عمر المختار ..

فجعل المختار مقره في الجبل الأخضر من ذلك الحين الى وقت
استشهاده بعد عشرة اعوام تقريبا .

معارك المختار

عاد المختار من مصر عن طريق السلوم الى برقة، مزوداً بتعليمات الأمير لمواصلة الجهاد ..

وكانت الخطة المتفق عليها هي انشاء المعسكرات واختيار الرؤساء الصالحين لها ، ومهمة السيد المختار هي رئاسة هذه العمليات كلها .

اما مهمة الأمير ، فهي البقاء في مصر لإمداد المجاهدين بكل مساعدة ممكنة ..

ولم تكن رحلة المختار من السلوم الى برقة خالية من كل حادث ، ذلك بأن جواسيس الطليان سرعان ما طيروا الخبر الى رؤسائهم ، ان المختار قد اجتاز الحدود الشرقية ..

فأعد الطليان ثلاث سيارات مصفحة كمنت للسيد عمرو وصحبه

وكان غرضهم القبض على المختار واسره .. فما ان ظهر المختار ورفاقه حتى امطرهم العدو وابلا من رصاص مدافعهم الرشاشة ، ولكن المختار صمد لهم ، واهتم المجاهدون بإصابة عجلات السيارات فكان لهم ما أرادوا .

وعندئذ انقضوا على القوة الايطالية بهذه السيارات فسادوا أفرادها عن آخرهم .. وكانت هذه الهزيمة الساحقة كافية لأن تلقي الرعب في قلوب الطليان ، فاستطاع السيد عمر وصحبه أن يتابعوا سيرهم بعد ذلك « على رأى ومسمع من الايطاليين ، الذين لم يجرءوا على من تعقبهم مرة اخرى حتى بلغوا الجبل الأخضر » .



بدأ النضال في عامي ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ بوقوع معارك ومناوشات عدة ، ووسع المجاهدون دائرة نشاطهم العسكري في الجبل الأخضر حتى خف ضغط الطليان على إخوانهم في معسكرات البرقتين .

ولمع إسم السيد عمر وسطع نجمه كقائد بارع يتقن أساليب الكر والفر ويستمتع بنفوذ عظيم ، وأخذ العرب من اهل القبائل القاطنة في الجبل ينضمون إلى صفوف المحاربين .

وفضلا عن ذلك ، فقد بادر الأهلون من غير المحاربين بامداد

لإخوانهم بما يحتاجونه من مؤن وعتاد واسلحة .

ولم يكن في استطاعة الطليان في هذه المرحلة من الجهاد أن يقوموا بنشاط حربي ملحوظ في منطقة الجبل الأخضر ، فقصروا جهودهم على تدبير احتلال ذلك المركز السنوسي العتيد في الجنوب والذي ظل طوال الاعوام الماضية ، يد المجاهدين بالمؤن والذخائر ، ونعني به واحة الجغبوب ، التي كانت تمد المجاهدين بما يحتاجونه من نجادات. ومؤن .

وأعد الايطاليون حملة عسكرية كبيرة تتألف من الفين من الجنود ، وفصائل من السيارات المصفحة المسلحة بالمدافع الرشاشة ، بلغ عددها ثمانين .. وهذا عدا ست سيارات مصفحة ، وثلاثمائة وخمسين سيارة أخرى لنقل المؤن والمهمات ، وانطلقت اثنتا عشر طائرة لمعاونة الحملة .

إلا ان ذلك كله ، كان إعداداً لا داعي له ، لان اهل الواحة كانوا قد رحلوا عنها ..

وعلى ذلك ، دخل الطليان الجغبوب دون مقاومة فاحتلوها في ٨ فبراير ١٩٢٦ .

وبعد سقوط جغبوب مصيبة جديدة تضاف الى التساعب التي استقبلت عمر المختار ، عندما حمل على عاتقه العبء كاملاً .

ولجا الطليان إلى محاولة بذر بذور الشقاق بين المجاهدين حتى يضعفوا من قوتهم فلم يفلحوا ..

ثم حاولوا استمالة السيد عمر المختار نفسه ، وعرضوا عليه عروضاً سخية .. وحاولوا ان يكافئوه بمبالغ من المال طائلة .. او ان يمنوه بالجاء العريض .. في ظل حياة رغدة ناعمة .. ولكنهم لم يفلحوا .

وذاك الجانب من حياة المختار جدير بالملاحظة ، ذلك أن الرجل كان صاحب فكرة ومبدأ .. لا يفرط في فكرته ولو عرضت عليه الدنيا بأكملها ثمناً لذلك التفريط .

ولكن الطليان ، وهم قوم لا اخلاق لهم .. ولا معنى للشرف والكرامة عندهم .. خيل اليهم انهم يستطيعون شراء الرجل بالذهب والمركز الممتاز ، وساء ما يظنون ، وبش ما يعرضون .



وكان المختار يتخذ مقر قيادته في منطقة شحات ، ويبلغ عدد المجاهدين حوالي خمسمائة والى منهم اربعمائة قارب تقريباً .

وعلاوة على ذلك ، فقد اتخذ المختار التدابير التي تمنع عرقلة حركات المجاهدين ..

فأبعد الأسر بمواشيها من منطقة القتال « وزود جنوده بعدد عظيم من (القرب) المعدة لأمداد المجاهدين بالماء ، وأخذ هؤلاء يتأهبون للالتحام مع الطليان في معارك فاصلة .

وسرعان ما اشتبك المجاهدون مع الطليان في معارك دامية في يوليو ١٩٢٧ ..

ثم استمرت مناوشاتهم للعدو حتى بداية الشهر التالي ، وأصيب الطليان بخسارة فادحة ..

وبعد كر وفر تغلب الطليان في النهاية بما كان لهم من قوات كبيرة تشد أزرها الطيارات والسيارات المصفحة ، فاستطاعوا أن يضيقوا نطاق الحصار على المجاهدين .



وأعد الطليان خططهم للاستيلاء على فزان واحتلال عاصمتها ، فخرجت في أواخر يناير ١٩٢٨ قوات .. إحداهما من غدامس ، والأخرى ... من الجبل الأخضر ... وكان الجيش بقيادة جرازاني .

والتحم المجاهدون معه في معركة دامية استمرت خمسة أيام

بتامها ، انهزم فيها الطليان شر هزيمة فتقهقروا تاركين ما لديهم من مؤن وذخائر ..

ثم ما لبثت أن خرجت قوة أخرى تقصد فزان مباشرة ، فعلم المجاهدون بأمرها بعد خروجها بثلاثة أيام وانسحبوا إلى الداخل ، حتى إذا وصل هذا الجيش الجديد إلى مكان يقع بين جبلين يعرفان بالجبال السود ، انقض المجاهدون على الطليان وأرغموهم على التقهقر .

فعمد قواد الحملة إلى الفرار بسياراتهم .. تاركين وراءهم الجيش ، الذي وقع أكثره في قبضة المجاهدين ، فاستأصلوهم عن آخرهم ..

وعندئذ لم يجد الطليان مناصاً من أن يحددوا محسولاتهم ، فخرجت في هذه المرة قوات عظيمة من جهات متعددة ..

غير ان الطليان ، ما لبثوا أن انهزموا في هذه المعارك وتركوا وراءهم غنائم وأسلاباً كثيرة .

إلا ان الطليان ، بعد ذلك ، استطاعوا - بفضل احتلال الجغبوب عام ١٩٢٧ وغيرها - ان يقطعوا كل السبل بين المجاهدين في الجبل الأخضر وبرقة ، وبين مصر ، من الناحية

الشرقيه ، وبين مراكز السنوسية الباقية في الجنوب ، في فزان والكفرة ..

ووضعوا السيد عمر المختار والمجاهدين في عزلة تامة في الشمال ..

فهل وهن الرجل وضعف ، ووجد الياس إلى قلبه سبيلا ، بعد ذلك كله ؟

كلا .. بل إن الأحداث لم تنل شيئا منه ، وابتسم ابتسامة الواثق بربه ، المؤمن برسالته ، وقرر الجهاد مهما كانت الظروف والنتائج .

وفي خلال هذه الظروف السوداء القائمة ، ظل يشن الغارة بعد الغارة على درنة وما حولها ، حتى ارغم الطليان على الخروج بجيوشهم في ٢٢ أبريل لمقابلته ..

فاشتبك معهم في معركة شديدة استمرت يومين كان النصر فيها النصر حليفه ، ففر الطليان تاركين عدداً من السيارات والمدافع الجبلية وصناديق الذخيرة ، عدا الجمال ودواب النقل .

الله اكبر !

ذلك هو عمر المختار على حقيقته .. زار كالأسد ، وانتقض

كالصاروخ ، فبدد بحفنة من الرجال ، جيوش الامبراطورية
الاطالية ، وجعلها تفر هاربة تاركة عتادها ومؤنها .

ولو لم يكن الرجل من معدن نفيس غاية النفاسة ، ما كان
بهذه القوة المدمرة .

كان كل ما حوله ينذره بالهزيمة ، ويقيم الدليل على أن المعركة
غير متكافئة ، وان النتيجة هي استيلاء إيطاليا في النهاية على ليبيا
بأكملها .. فما جدوى القتال والنضال ؟

كان هذا هو منطق الحوادث .. وهو منطق العقول والأوهام
دائماً .

ولكنه ليس بمنطق الأبطال ، الراغبين في الشهادة .

الذين يقاتلون معها كانت النتائج ، لأنهم يؤمنون بشيء واحد
هو أن يموتوا شهداء .

وذلك هو مصدر القوة العجيبة ، التي تنفجر من قلوب
الشهداء ..



وفي يونيو .. استطاعت قافلة أن تخرج من السلوم محملة
بمختلف العتاد والمؤن قاصدة إلى الجبل الأخضر لامداد السيد
عمر ..

فعلم الطليان بخروجها ، وأرسلوا سياراتهم المسلحة لتعقبها ،
ولكن المجاهدين صمدوا لهم ، وأطلقوا رصاص بنادقهم على العجلات
فتعطلت السيارات ، وعندئذ انقض العرب على القوة الايطالية ،
فأبادوها عن آخرها واحرقوا السيارات .



وفي سبتمبر من العام نفسه ، غزت جموع الزاوية الجخرة
ومرسي بريقة وجالو وأوجلة ، وأنزلوا بالطليان خسائر جسيمة .
فدلت هذه الأعمال على أن « الثورة » ما زالت مستعرة الأوار
في الجهة الغربية من سرت شمالاً . إلى الفزان جنوباً ، وإلى جالو
شرقاً .. فضلاً عن اشتداد مقاومة المجاهدين ، في الجبل
الأخضر ..

وذلك كله ، على الرغم من احتلال الطليان للواحات كمراكز
السنوسية الهامة ..

فلم يعد هناك مناص من أن يعيد الطليان النظر في خططهم،
مما أدى إلى وقوع أزمة كبيرة في روما .

وأعلن موسوليني توحيد الإدارة في القطرين الليبيين ، وعين
المارشال بادوليو حاكماً على طرابلس وبرقة .

ويحدد مجيء بادوليو إلى ليبيا بداية مرحلة النضال الحاسمة بين
الطليان والمجاهدين في برقة والجبل الأخضر .

تعيين بادوليو

حاكماً عاماً على ليبيا

حضر بادوليو الى ليبيا حاكماً عاماً عليها في يناير ١٩٢٩ .

وكان برنامجه الجديد يتلخص في تخفيض الجيش الى القدر الذي يكفي القيام (بحرب العصابات) والمحافظة على هيبة الحكومة ليس الا .. مع اذناق الاموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الاخضر مما يسهل عليه التنقلات العسكرية .

فاذا ما تم له ذلك قام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي على المقاومة نهائياً .

من اجل ذلك سعت السلطات الايطالية الى مفاوضة السيد عمر المختار لتهدئة الاحوال .. ووافق السيد على ذلك ، بعد شروط اشترطها .

وفي ٢٠ ابريل ، دارت المفاوضات بينها وبين السيد ..
ثم خير مندوبو الحكومة السيد عمر بين امور ثلاثة : الذهاب
الى الحجاز ، او الى مصر ، او البقاء في برقة ..
فإذا رضي البقاء في برقة أجرت عليه الحكومة مرتباً ضخماً
وعاملته بكل احترام .
ولكن المختار رفض هذه العروض .
وتلك فتنة اخرى يسوقها القدر الى المختار .. منصب
هام ، واموال طائلة ، وحياة هادئة .
ولكن الرجل رفض كل هذا ، لانه - كما قدمنا - ليس من
الطراز الطامع في الدنيا المتهالك على اعراضها .
ثم تعطلت المفاوضات بعد ذلك .



واستؤنفت المفاوضات ثانية ، وكانت السلطات الايطالية ، قد
بيّنت النية على الايقاع بالمختار وأسرّه ..
ولكن السيد عمر احتاط للأمر .. ولم يسفر هذا الاجتماع

عن شيء ..

ثم استؤنفت مرة ثالثة ورابعة ، وتم الاتفاق بين الطليان والسيد عمر المختار ، على عقد هدنة لمدة شهرين حتى يتسنى لكل منهما « مخابرة مرجعه » ..

وقال بادوليو انه على استعداد تام لقبول عودة امير البلاد ، السيد محمد ادريس الى برقة ، ما دام المختار والمجاهدون يصرون على ذلك .

ومعنى ذلك ، ان الطليان قد اعترفوا بالهزيمة السياسية واقروها وان تلك الجهود العسكرية التي بذلوها مدة ستة اعوام تقريباً قد ذهبت جميعها هباء منثوراً .

والواقع ان ذلك كان مجرد مراوغة من ايطاليا لكسب الوقت ، وكانت نية الدولة الفاجرة الحقيقية ، هي المماطلة حتى يأتي الوقت الذي تستطيع فيه ان تشن هجوماً نهائياً يقضي على مقاومة المجاهدين الى الابد .



وأهل المختار والى برقة وطرابلس حتى يوم ٢٤ اكتوبر

١٩٢٩ كي يتدبر الامر بحكمته .

وانتظر المختار دون جدوى ، ان ياتيه رد من الحكومة في
الايام التالية .

وعندئذ تأكد لدى المختار ، ان الطالبان مصممون على القتال ،
وبادر باصدار ندائه المشهور ، إلى أبناء وطنه وسكان برقة
وطرابلس في ٢٠ اكتوبر ١٩٢٩ .

وفي هذا النداء أخذ المختار يسرد قصة المفاوضات الصحيحة
من جهة .. ثم يبين المجاهدين مقدار تمسك الطالبان بعهودهم ،
وكيف انهم تقضوا الهدنة التي طلبوها بانفسهم ، فصاروا
يتحملون وحدهم ، بهذا العمل ، مسؤولية استئناف الحرب في
ليبيا .

وقد أراد المختار ، من نشر هذا النداء ، ان يصحح من
جهة اخرى ، تلك الوقائع التي صار يذيعها الطالبان على غير
حقيقتها ممسوخة مشوهة عن المفاوضات والهدنة ..

وأن يطلب إلى أبناء الوطن أن يمضوا في الكفاح عن
كيانهم :

« باذلين دماءهم الزكية فداء الوطن في سبيل الوصول إلى

غايتهن المنشودة » .

وخاطب السيد عمر المجاهدين وابناء الوطن قائلاً :

« ليعلم إذاً كل مجاهد ، أن غرض الحكومة الإيطالية إنما بث
الفتن والدسائس بيننا ، لتمزيق شملنا وتفكيك اواصر اتحادنا ،
ليتم لهم الغلبة علينا ، واغتصاب كل حق مشروع لنا ، كما
حدث كثيراً من هذا خلال الهدنة ، ولكن بحمد الله لم توفق إلى
شيء من ذلك ...

« وليشهد العالم أجمع ان نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة ،
وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية ، وإن مقاصد إيطاليا واغراضها
ترمي إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب
الطرابلسي وتقدمه ... فبهيات ان يصل الطليان إلى غرضهم ما
دامت لنا قلوب تعرف ان في سبيل الحرية ، يجب بذل كل
مرتخص وغال » .

ثم ختم المختار هذا النداء بقوله :

« لهذا نحن غير مسئولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على
ما هي عليه ، حتى يثوب اولئك الأفراد النزاعون إلى القضاء علينا
إلى رشدهم ويسلكوا السبيل القويم ، ويستعملوا معنا الصراحة
بعد المداينة والخداع » .

وقد نشرت بعض الصحف المصرية ، هذا النداء ، في ٢ يناير ١٩٢٩ .

وكان المختار محقاً في توقعه الغدر من جانب الطليان ، فما لبثت الطائرات الايطالية ، ان القت قذائفها في ١٦ يناير على المجاهدين والسيد عمر .

وبدأ النضال من جديد ، بين المجاهدين ، وبين الحكومة الايطالية ..

جرازياني

جرار ليبيا

جاء جرازياني إلى برقة ، حاكماً عليها ، ونائباً للمارشال بادوليو
الحاكم العام لكل من برقة وطرابلس .

جاء مكلفاً بتعليمات صريحة من قبل حكومة الدوتشي
الفاشستية ، بضرورة القضاء قضاء تاماً على المقاومة في برقة ..

وذلك بأن يعد اعظم قوات في استطاعته استخداماً بصورة
سريعة وصارمة .. للقضاء على المعسكرات ، واستئثار المجاهدين
إلى الاشتباك مع الطليان ، في معارك فاصلة ... واخيراً احتلال
الكفرة .

فكان مزوداً بتعليمات بضرورة الفصل بين جميع الأهليين
الذين خضعوا للحكومة واطهروا ولاءهم لها عن « الثوار »

والمجاهدين العرب ، واتخاذ كل الوسائل التي تضمن عدم تسرب نفوذ السنوسية بين الأهالي الموالين للطلّيان ، وقيام الحكومة بعملية « تطهير » واسعة بين الوطنيين والطلّيان المقيمين في المدن وخصوصاً في بنغازي .

إلى جانب قفل الحدود المصرية قفلاً تاماً لمنع وصول الأسلحة والتموين إلى المجاهدين .

ومنذ عودة جرازياي إلى بنغازي ، بدأ نائب الوالي الجديد يضع هذا البرنامج موضع التنفيذ من غير إبطاء ، معلناً أنه سوف ..

« يتبع بكل اخلاص ، تعاليم الدولة الفاشستية ويسير على مبادئها ، لأنه وإن كان قائداً من قواد الجيش واحد الرجال العسكريين ، ألا انه يدين بمبادئ فاشستية محضة ، ويعلن هذه الحقيقة بكل وضوح وصراحة تامة » .



ولم يمض على وصول جرازياي سوى ايام قلائل ، حتى أنشأ ، ما صار يعرف في تاريخ الاستعمار الايطالي الأسود باسم المحكمة الطائرة (ابريل ١٩٣٠) .

وذلك بسبب انتقال هذه المحكمة على متن الطائرات من مكان الى آخر لاصدار الاحكام السريعة ، ثم تنفيذ هذه الاحكام على أيدي السلطات المحلية في التو والساعة ..

« حتى يشعر الاهلون بأن العدالة تأخذ مجراها بكل سرعة » .

وفي نفس الوقت بدأ ينفذ سياسة عزل الاهالي الخاضعين للحكومة عن المجاهدين ، فحشدتهم في تلك (المعتقلات) التي امتدت من العقيلة الى السلوم .

ثم أخذ يعمل على حل زوايا السنوسيين ومصادرة أملاك الزوايا وأوقافها ، الى غير ذلك من ضروب النشاط الذي قام به (جزار ليبيا) ، تنفيذاً للشطر الأول من التعليمات المعطاة له ، حتى يضيق الحصار على المجاهدين في الجبل الأخضر والمناطق الأخرى ..

وكانت معسكرات المجاهدين عند حضور جرازاني حاكماً على برقة موزعة في أماكن قريبة من نواجع الاهالي حتى يسهل على المختار وصحبه ، اخذ العشور ، والحصول على الذخائر والاسلحة والمؤن .

وفي ١١ ابريل ١٩٣٠ بدأ المجاهدون هجومهم الجديد بالانتقاض على قوة ايطالية ..

ولكن مجيء النجدة السريعة للطلّيان ، واضطرار المجاهدين الى الانسحاب ، ما لبث أن جعل المختار يغير شيئاً من أساليبه ويركن الى مفاجأة القوات التي كان يرسلها الطليان للكشف والاستطلاع في أماكن متفرقة ..

او تلك التي كانت تقوم بحراسة العمال المكلفين انشاء الطرق تمهيداً لقيام الطليان بالعمليات العسكرية الكبيرة في الجبل الاخضر .

وابلى المجاهدون في المناوشات التالية بلاء حسناً واشاعوا تهكماً بالطليان ، وزرارة بهم .

تارة ان المختار ، قد اصيب بجروح في مناوشة من هذه المناوشات ، وتارة اخرى انه اصيب بمرض طارئ افضى الى استشهاده ، وذلك كله لاقامة البرهان ، على ان المقاومة ما زالت سائرة في طريقها الجدي على الرغم من عدم اشراف قائد المجاهدين الاعلى على عمليات الجهاد بنفسه .



وأحكم جرازاني تدابير العسكرية .. فلم يأت يوم ١٤ يونيو حتى كان الطليان قد استولوا على منطقة الفايدة بأجمعها ،

واحتلوها. ونزعوا من الاهالي الخاضعين لهم ٣١٧٥ بندقية و ٦٠٠٠٠ خرطوشة .

واضطر المختار ، نتيجة لذلك ، الى نقل دائرة عملياته الى الناحية الشرقية (في الدفنا) نظراً لقربها من الحدود المصرية ، وذلك حتى يتمكن من إرسال المواشي التي يأتية بها الاهالي إلى الأسواق المصرية في نظير أخذ حاجته من هذه الأسواق .. مما جعل جرازياي يقرر إقامة الأسلاك الشائكة ، على طول الحدود الشرقية ..

فهل ضعف المختار بعد ذلك كله واستسلم ، بعد أن وضح للعيان ان المعركة ميثوس منها .. وان الطليان لهم السيطرة التامة على البلاد ؟

كلا .. بل اليك طائفة من معارك المختار ، بعد كل ما رأيت ..

هاجم المجاهدون مراكز الطليان في منطقة عين الغزالة واستولوا على عدد عظيم من الجمال ..
ثم انضم اليهم كثير من الاهالي ..

فاضطر جرازياي إلى جمع النواجع المنتشرة في هذه المنطقة في

أماكن أحاطها بالأسلاك الشائكة .

ثم جلب من طرابلس شراذم غير نظامية ، سرعان ما اشتبكت مع المجاهدين في معارك لم تكن فاصلة .

وفي شهر أغسطس .. التحم الطليان مع المجاهدين في مناوشات عدة .

وفي ١٩ سبتمبر نقل جرازياي بالسيارات قوات أخرى غير نظامية من قبيلة الجاسة إلى ناحية القبة .. ولكن دون الوصول إلى نتيجة ..

فأعاد العدو الكرة على المعسكرات وحاصر المجاهدين في وادي سافيه ، واشتبك معهم في معركة كرسة المشهورة في يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٣٠ ، وهي المعركة التي استشهد فيها خير قواد المختار السيد الفضيل بو عمر ..

وكان الفضيل مجاهداً قديماً اشترك في الحرب الليبية الإيطالية (١٩١١) وعرف بالشجاعة والاخلاص .

وقد ذكر المختار تفاصيل هذه المعركة في كتاب له جاء فيه أن العدو هاجم المعسكر ، وكان رئيسه السيد الفضيل بو عمر ، وقد استشهد في هذه المعركة .. إلى جانب الفضيل .. أربعون شهيداً ..

وقد وجدنا في ميدان القتال ما يزيد عن ٥٠٠ قتيل من العدو
وبينهم ماجور وثلاثة ضباط .

على أن الطليان لم يلبثوا أن شددوا عملياتهم العسكرية في منطقة
الجبيل الأخضر بعد هذه الواقعة ..

فاستمرت جموعهم تناوش المجاهدين مدة اسبوعين ، ولكن
دون الوصول إلى نتيجة .

وفي اكتوبر ١٩٣٠ تمكن الطليان من الاشتباك مع المجاهدين
في معركة كبيرة ، عثر الطليان عقب انتهائهما على (نظارات)
السيد عمر المختار ..

كما عثروا على جواده المعروف مجندلاً في ميدان المعركة ،
فثبت لديهم أن المختار ما زال على قيد الحياة .

وأصدر جرازباني منشوراً ضمنه هذا الحادث حاول فيه أن
يقضي على « اسطورة المختار الذي لا يقهر أبداً » .

وقال متوعداً : « لقد أخذنا اليوم (نظارات) المختار ، وغداً
نأتي برأسه » .

وبعد الاستعدادات العظيمة ، بدأ زحف الطليان لاجتلال
« الكفرة » .

وعرف الطليان ، وهم في طريقهم اليها بتجمع قوات المجاهدين
في واحة الهواري ، فبادروا بالاشتباك معهم في معركة تامت ثلاث
ساعات واستخدمت فيها الطائرات .

وقاتل المجاهدون جميعاً بشجاعة وبسالة نادرة ؛ فلم يكفوا عن
القتال إلا عند شعورهم بأنهم سوف يفنون عن آخرهم ، فبلغ من
استشهد من المجاهدين في واقعة الهواري حوالي المائة ..

ووقع في أسر الطليان ثلاثة عشر فقط ، وغنم الطليان مائة
بندقية وبعض الذخائر واحتلوا الكفرة...

ولا يستطيع أحد أن يطالب هؤلاء الأبطال بالاستمرار في
القتال ، بعد أن استشهدوا جميعاً إلا ثلاثة عشر .. كان مصيرهم
الفناء التام .

وفي ٢٤ يناير ١٩٣١ وصل إلى الكفرة بطريق الجو المارشال
بادوليو ، ورفع الطليان علمهم على زاوية التاج ، ثم ظفقت قواتهم
تطارد قوات المجاهدين .

ورجع الطليان من هذه المطاردة بخمسين أسيراً قتلوا منهم

حالا اثني عشر رجلا .

وبسقوط الكفرة انتهت في الحقيقة كل مقاومة جدية ضد
الطليان في برقة ..

كما كان سقوط فزان في العام السابق قد قضى على المقاومة
في طرابلس .

أسر عمر المختار

كان لسقوط الكفرة ، أعظم الأثر في موقف السيد عمر المختار في الجبل الأخضر ..

ذلك أن جرازياي استطاع بذلك إغلاق الحدود المصرية إغلاقاً تاماً ، بمد الأسلاك الشائكة على طول هذه الحدود حتى الجغبوب .

وأنشأ المراكز المسلحة على طول هذه الحدود ، فائقطع تماماً مجيء أية إمدادات إلى السيد عمر المختار في الجبل الأخضر .

ومع ذلك ، فقد ظل المختار في الجبل يقاوم الطليان ، على الرغم من هذه الصعوبات الجسيمة التي كانت تكتنفه من كل جانب . واستمر الحال على ذلك حتى حدث في يوم ١١ سبتمبر ١٩٣١ ، أن وصل إلى الحكومة برقية تنبئ بأن مصادمات وقعت بين المجاهدين وقوة من خيالة الحكومة بالقرب من سلطنة ، وأن

رجلا من الأهلين وقع في أسرهم وقد عرفه الجند وقالوا إنه
عمر المختار نفسه .

وكان لهذه البرقية أثر بالغ في دوائر الحكومة ، فغادر مندوبها
في التو والساعة بطريق الجو إلى مكان الحادث ، حتى يقف بنفسه
على الحقيقة .

فسهل عليه التعرف على السيد عمر ، كما أعلن المختار عن
شخصه ..

فأرسله المندوب بحراسة قوية إلى مرسى سوسة ، ثم نقلته
مركب حربية إلى بنغازي .

وقد فصل أحد الكتاب ما وقع للسيد عمر فقال :
إن المختار « كان قد جرى على عادة الانتقال في كل سنة
من مركز إقامته إلى المراكز الأخرى التي يقيم فيها إخوانه
المجاهدين لتفقد أحوالهم .

وكان إذا ذهب لهذا الغرض يستعد للطوارئ وياخذ معه
قوة كافية تحرسه من العدو الذي يتربص به الدوائر في كل زمان
ومكان ..

ولما أراد الله أن يختم له بالشهادة ، ذهب في هذه السنة كعادته

في نفر قليل يقدر بمائة فارس .. ولكنه عاد فرد من هذا العدد
ستين فارساً ، وذهب في أربعين فقط .

ويوجد في الجبل الأخضر ، واد عظيم معترض بين المجاهدين
اسمه وادي الجريب ، وهو صعب المسالك كثير الغابات ، كان لا
بد من اجتيازه ..

فمر السيد عمر المختار ومن معه ، وباتوا فيه ليلتين ، وعلمت
بهذا إيطاليا ، بواسطة جواسيسها المنتشرين في كل مكان ،
فأمرت بتطويق الوادي على عجل من جميع الجهات ، بعد أن
جمعت كل ما عندها من قوة قريبة وبعيدة ..

فما شعر السيد عمر المختار ومن معه ، إلا وهم وسط العدو ،
ورأى انه لا خلاص له من هذا المازق إلا بالهجوم .

فأمر من معه بالهجوم على من يقربهم من العدو في الجهة القبليّة ،
ودامت المعركة بينهما يومين كاملين .

وعلى الرغم من الاحتياطات الشديدة التي اتخذها العدو ، وعلى
الرغم من كثرة عدده وعدته ، تمكن السيد عمر المختار ، ومن بقي
معه ، من خرق صفوف العدو ، إلى ان خرجوا من ذلك الوادي
ووصلوا إلى غربي سلطنة

ففاجأتهم قوة طليانية أخرى ، غير القوة التي حاصرتهم في

الوادي ، وكانت ذخيرتهم على وشك النفاد ، فاضطرتهم إلى الاشتباك معها في معركة جديدة ، قتل فيها جميع من بقي معه ، وقتل حصانه ايضاً ووقع عليه ، فتمكن من التخلص من تحته ، وظل يقاتل في تلك القوة وحده إلى أن جرح في يده ، ثم تكاثرت عليه الأعداء ، وغلب على أمره ، وأخذ أسيراً .



وعند وصول المختار إلى بنغازي أودع السجن .

وعزا المختار في حديثه ، عند قدومه إلى بنغازي سبب وقوعه في الأسر إلى نفاد ذخيرته وعجز المجاهدين الذين كانوا معه عن مواصلة القتال ..

وأكد للمتصرف الايطالي ، أن وقوعه في الأسر لا يضعف شيئاً من حدة المقاومة ، إذ أنه قد اتخذ من التدابير ما يكفل انتقال القيادة من بعده إلى غيره .

وأخيراً قال المختار هذه الكلمات الغاليات التي يجب أن نلقنها لأبنائنا جيلاً بعد جيل :

« إن القبض عليه ووقوعه في قبضة الطليان إنما حدث تنفيذاً

لإرادة المولى عز وجل ، وأنه وقد أصبح الآن أسيراً بأيدي الحكومة ، فالله سبحانه وتعالى وحده يتولى أمره ، وأما أنتم ، فلکم الآن وقد أخذتموني أن تفعلوا بي ما تشاءون ، وليكن معلوماً اني ما كنت في يوم من الأيام لأسلم لكم طوعاً ! » .

وكان جرازياياني وقت القبض على المختار يقضي إجازته في روما ، فوصله الخبر مساء يوم ١٢ سبتمبر ١٩٣١ ، وهو بالقطار الذهاب به إلى باريس ، فلم يتابع رحلته ، بل استقل طائرة أوصلته إلى طرابلس في يوم ١٣ سبتمبر ١٩٣١ .

ووصل إلى بنغازي في اليوم التالي ، ودعا في التو واللحظة « المحكة الخاصة او المحكة الطيارة » إلى الانعقاد ، في يوم ١٥ سبتمبر .

عمر المختار

امام جرازياي

أرادت الأقدار أن يقف البطل ، الذي حير إيطاليا ،
وأشاع الرعب في قلوب جيوشها ، أمام الرجل التافه الخفير
المدعو: جرازياي .

وجرازياي هذا ، صعلوك من صعاليك الطليان ، حقير
النفسية ، وضع الأخلاق ، من أولئك الذين يرتفعون في كل
عهد ، ويأكلون على كل مائدة .

كان من قادة الجيش الإيطالي ، فلما جاء موسوليني ذلك
الطبل الأجوف ، وادعى الزعامة على إيطاليا ، وحشر نفسه
حشراً في صفوف الزعامات العالمية ، كان جرازياي هذا أول من
صفق وقرع الطبول للزعامة الجديدة ، وصار فاشستياً أكثر من

الفاشيست أنفسهم .

أمام هذا الرجل التافه ، وقف البطل الأشم عمر المختار .

وتستطيع أن تفكر في هذا الموقف وتطيل التفكير ، فإن النفوس الحقيمة الوضيعة ، لا تعرف الشرف ، ولا الرجولة ، ولا الكرامة ، ولا الأخلاق إذا خاضت .

فما يكاد عدوها يقع في يدها حتى تفعل به الأفاعيل ، وتصب عليه أصنافاً وألواناً من العذاب !! يدفعها إلى ذلك ، شدة إحساسها بحقارتها وعظمة عدوها ، وشدة شعورها بنقصها وكمال أسيرها .

من أجل ذلك دفعت الشماتة هذا الرجل الحقير أن يقطع رحلته إلى باريس ، وأن يعود فوراً إلى بنغازي ، وأن يدعو المحكمة الطائرة إلى الانعقاد .

ودفعت غريزة الشماتة جرازياي أن يستدعي البطل في صبيحة اليوم نفسه ، وقبل المحاكمة بقليل .

وجيء بالمختار إلى سراي الحكومة ، وأدخل على جرازياي في مكتبه .

كيف جاءوا به ؟

جاءوا به مقيد اليدين بالسلاسل والأصفاد ..

جاءوا به ، وهو يسير بصعوبة ... وقد غطى وجهه
بجرامه .

وبدا المختار حينئذ ولياً من أولياء الله ، لم ينل الأسر والسجن
شيئاً من وقاره وجلال هيئته .

وحين يساق المؤمنون إلى المحاكمات الوهمية التي يلفقها لهم
المستعمرون والجبابرة ، تحف الملائكة جباههم ، وترفرف الرحمة
الساوية على رؤوسهم ... وينزل الله سبحانه النسيئة في
قلوبهم .

وهذا سر الجلال الذي كان يحف بالمختار ، ولم يكن جرازياي
ليدرك شيئاً من ذلك كله .

ودار الحوار بين الأسد المسلسل ظمأ وطغياناً ، وبين الفسار
الجبان المدعو جرازياي ، وإن لبس ملابس الأسود .

وكان يقوم ترجمان حرازياي الخاص بالترجمة .

جرازياي - (مخاطباً السيد عمر) لماذا حاربت الحكومة
الإيطالية هذه الحرب الشديدة ؟

المختار - لأن ديني يأمرني بذلك .

جرازياني - هل كان لديك أي أمل في أنك سوف تستطيع
إخراجنا من برقة بهذا العدد القليل من الرجال الذين يناضلون
معك ، وتلك المعدات الضئيلة التي تملكها ؟

المختار - كلا ، فإن هذا على ما يبدو كان أمراً مستحيلاً .

جرازياني - ماذا كان غرضك إذن وماذا كنت تبغي ؟

المختار - كنت مجاهداً وكفى ... اما ما ينجم من هذا
الجهاد فالأمر فيه موكول لله وحده .

جرازياني - ولكنني أعلم أن كتابك (أي القرآن الكريم) ،
يفرض عليك الجهاد ضد الكفار ، إذا كان هناك أي أمل في
النجاح والنصر فقط ، حتى لا يضر الأهلون ، أو يلحق بهم
الآذى ، هل يقول (القرآن الكريم) ذلك حقاً ؟

المختار - نعم .

جرازياني - لماذا إذن حاربت ؟

المختار - لان ديني يأمرني بذلك .

جرازياني - كلا ، بل الصحيح ، هو أنك لم تحارب إلا من
اجل السنوسية فحسب وهذا شيء آخر ..

(وهنا انطلق جرازياي يندد بالسنوسيه والدوافع التي جعلت المختار يتابع الجهاد ضد الطليان ، فلم يجبه المختار بشيء ... ولكنه - على حد قول جرازياي - كان يظهر في أثناء ذلك ، الما شديداً) .

جرازياي - لماذا نقضت انفاق السلام وأمرت بالهجوم على جرس بنقذن ؟

المختار - لاني ظلت شهراً بطوله انتظر رداً على خطابي إلى بادوليو ، ولم يجب بادوليو بشيء .

جرازياي - هذا كلام من يريد الاعتذار عن عمل طائش أثاره ولا يصح ان يصدر من رجل مثلك ... والواقع انك نقضت السلم متعمداً ، واليك الدليل على ذلك .

(ثم يستمر جرازياي فيقول :

» وقد قرأت عليه المنشور الذي امضاه ونشرته الصحف المصرية - ويقصد جرازياي نداء المختار الذائع ، في ٢٠ اكتوبر ١٩٢٩ . «

أما المختار فلم يجب بشيء) .

جرازياني - هل أمرت فعلاً .. بقتل الطيارين أوبر
وبياتي ؟

المختار - نعم ، فإن الرئيس وحده هو الذي يتحمل جميع
المسئوليات والحرب هي الحرب .

جرازياني - هذا يكون إذا كان هناك حرب فعلاً وليست
أعمال لصوصية إجرامية مثل اعمالكم .

المختار - هذه مسألة رأي .

جرازياني - لقد اضعت بعملك في « جرس بنقدن » كل حق
في طلب الرحمة من الحكومة .

المختار - مكتوب !. ولكني أريد أن أقول إنني عندما
وقعت في الأسر ، لم يكن معي سوى ست خرطوشات فقط ،
وربما كان لذلك في امكاني ان اقتل الجندي الذي اسرني ، او
أقتل انا .

جرازياني - ولماذا لم تفعل هذا ؟

المختار - لأن ذلك كان من قضاء الله وقدره ، إنني رجل
كبير السن فدعني أجلس .

(وعندئذ يقول جرازياي إن المختار جلس امام مكتبه
وكشف قليلاً عن وجهه ..

(وكان يبدو عليه الهدوء بعد تأثره الأول .

(وكان جالساً بصورة تمكن جرازياي من رؤية نصفه الجاني ،
ويسترسل جرازياي فيقول :

« وكان وجه المختار ضارباً إلى الحمرة قليلاً ، ولم يتألمك أن
شعر في قرارة نفسه ، أنه كان امام رجل ، تتجسم في شخصه
الزعامة بأوضح معانيها ، حتى أن جرازياي - على حد قوله -
كان وهو يكتب مؤلفه عن برقة ، لا يزال يشعر بالآثر الذي
أحدثته في نفسه روية المختار ... وكيف انه أدرك لماذا
كان المختار ، صاحب الكلمة المسموعة ، والرأي الاعلى بين
المجاهدين » . (

وقد فاجأ جرازياي المختار بالسؤال الآتي :

جرازياي - كم من الوقت يمكنك ، بما لك من نفوذ وصوله
ان تخضع الشوار في الجبل ؟

المختار - ابدأ ، ابدأ ... إني كاسير ، لا أستطيع فعل
شيء ... وفضلاً عن ذلك ، فقد اقسمننا جميعاً ان نموت واحداً

بعد واحد ، ولا نسلم أنفسنا بتاتاً ... ومن المعروف تماماً إنني لم
اسلم نفسي اليكم .

جرازياني - من المحتمل لو اننا كنا على اتصال اكثر ،
وزادت معرفتنا لبعضنا بعضاً ، لكان من المستطاع ، بالنظر لما
لكم من خبرة ، أن نعمل سوياً من اجل الوصول إلى شيء قد
يفيد مصلحة السلام .

المختار - ولماذا لا نسعى في سبيل ذلك الآن ؟

جرازياني - لقد فات اوان ذلك ... لقد فات اوان ذلك
لأنك صرحت بعدم استطاعتك فعل شيء ، نتيجة لوقوعك
في اسرنا .

(ويقول جرازياني ... إنه عرض على السيد عمر
(النظارات) التي اضعها المختار ، في معركة وادي السانية ،
فعرف المختار (النظارات) ، وقال إنه أضعها في هذه
المعركة) .

جرازياني - لقد تأكد لي ، من ذلك اليوم الذي عثرنا
فيه على هذه النظارات (... انك يوماً ما سوف تكون في
أسري ...

المختار - مكتوب ! أرجع إلى النظارات ، لاني لا أرى بدونها ... ولكن ما الفائدة ؟ وانا الآن في قبضتك ، مع النظارات .

جرازياني - هل كنت تعتقد أن الله (تعالى) سوف يحميك لانك تجاهد في سبيل قضية عادلة ؟

المختار - نعم .

جرازياني - أنصت لما اقول ... لقد فر الزعماء ، او ماتوا امام جيوشنا المنتشرة ، من نالوت إلى جبل برقة ، ولم أقبض على واحد منهم ، وهو ما يزال على قيد الحياة ... فلماذا تكون انت ذلك الرجل ، الذي لا يقهر ولا يهزم أبداً ... والذي لا يستطيع ان يأسره إنسان ، ويولييه المولى حمايته ... لماذا تكون انت الآن في هذا المكان ... ولماذا لا يكون من حقي ان اعتقد ، انا الآخر ، بأن الله يوليني حمايته ورعايته ؟

المختار - الله اكبر .

جرازياني - لا شك انك كنت طوال حياتك ، رجلاً شجاعاً ... ولاني لأرجو ان تظل شجاعاً ، مهما حدث لك ، او

نزل بك .

المختار - إن شاء الله .

(ويقول جرازاني إن السيد عمر المختار قد فهم في تلك الآونة مصيره المحتوم) .

★

وفوت المختار على الكلب جرازاني ما يريد ..

لقد كان يريد ان يتخذ المختار ، أداة طيعة لإخماد جذوة المقاومة ، فلم يحقق المختار امله .

ومن الثابت أن جرازاني عرض على المختار عفواً شاملاً لقاء ان يكتب المختار بتوقيعه نداء للمجاهدين يدعوهم فيه إلى الكف عن القتال والمقاومة ، ويطلب اليهم أن يسلموا انفسهم واسلحتهم للحكومة .

فرفض المختار لأسباب اوضحها لجرازاني هي :

« إن هذا العمل لا يرضي ضميره ودينه ، وفضلاً عن ذلك فإن أحداً لن يصدق صدور هذا النداء من المختار . »

أرأيت ؟

ها هو المختار يخير بين أمرين ... إما الموت ... وإما
الحياة ..

فاختار بلا تردد الموت ، لأن ضميره ودينه ووطنيته ، تأبى
عليه ان يحيا ذليلاً !!

وتلك هي الزعامة الوطنية حقاً وصدقاً .

محاكمة المختار

في الساعة الخامسة من مساء هذه المقابلة .. (١٥ سبتمبر ١٩٢١) جرت تلك المحاكمة التي أعد لها الطليان مكان بناء « برلمان برقة » القديم .

وكانت محاكمة صورية شكلا وموضوعا .

ودليل ذلك ، أن الطليان قبحهم الله ، كانوا قبل بدء المحاكمة بيوم واحد قد أعدوا (المشنقة) وانتهوا من ترتيبات الإعدام وتنفيذ الحكم قبل صدوره .

وإنك لتلمس ذلك في نهاية الحديث الذي دار بين البطل وبين الكلب الايطالي ، حيث قال له :

« إني لأرجو ان تظل شجاعا مهما حدث لك أو نزل بك » .

وإنها لكأمت تفوح بالخبث والدناءة والشماتة ، ومعناها إنك

يا مختار سوف تعدم شنقاً ، قلا تجبن أمام المشنقة .

ووالله يا جرازياني لو كنت أنت في ذلك المازق لمت من الجبن
قبل ان تساق اليه .

ولكن المختار هو المختار ، وها هو يسمو ويسمو ثم يقول :
« إن شاء الله » .

فأي ثبات بعد هذا ايها الخبيث الوضع ؟

يصف الدكتور العنيزي هذه المحاكمة فيقول :

« جاء الطليان بالسيد عمر المختار إلى قاعة الجلسة مكبلاً
بالحديد ، وحوله الحراس من كل جانب .. وكان مكاني في القاعة
يجوار السيد عمر ... واحضر الطليان احد التراجمة الرسميين ،
واسمه نصرت هرمس ..

« فلما افتتحت الجلسة وبدأ استجواب السيد ، بلغ التأثير
بالترجمان ، حداً جعله لا يستطيع إخفاء تأثيره وظهر عليه
الارتباك ، فأمر رئيس المحكمة باستبعاده وإحضار ترجمان آخر .

« فوقع الاختيار على احد اليهود ، وهو لمبروزو ، من بين
الحاضرين في الجلسة .

« وقام لمبروز بدور المترجم ، وكان السيد عمر رحمه الله .. جريئاً صريحاً ، يصحح للمحكمة بعض الوقائع ، خصوصاً حادث الطيارين الإيطاليين أوبر وبياتي .

« وبعد استجواب السيد ومنأقشته وقف المدعي العمومي بدندو ، فطلب الحكم على السيد بالإعدام .

« وعندما جاء دور المحامي المعهود اليه بالدفاع عن السيد عمر وكان ضابطاً إيطالياً يدعى الكابتن لونتانو ، وقف وقال :

« كجندي لا اتردد البتة إذا وقعت عيني على عمر المختار في ميدان القتال ، في إطلاق الرصاص عليه وقتله ، وافعل ذلك ايضاً كإيطالي أمقته وكرهه ، ولكنني وقد كلفت الدفاع عنه ، فإني أطلب حكماً ، هو في نظري اشد هولاً من الاعدام نفسه ، واقصد بذلك الحكم عليه بالسجن مدى الحياة نظراً لكبر سنه وشيخوخته .. » .

وعندئذ تدخل المدعي العمومي ، وقطع الحديث على المحامي وطلب من رئيس المحكمة أن يمنعه من إتمام مرافعته ...

مستنداً في طلبه هذا ... إلى ان الدفاع قد خرج عن الموضوع ، وليس من حقه ان يتكلم عن كبر سن عمر المختار

وشيخوخته .

ووافقت المحكمة ومنعت المحامي من إتمام مرافعته !!

وفضلاً عن ذلك ، فإنها لم تعين محامياً بدلاً منه !!

بل سأل رئيس المحكمة السيد عمر :

« إذا كان لديه ما يقوله » .

فلما أجاب المختار بالنفي ، انسحبت المحكمة ، وبعد فترة وجيزة من الزمن عادت من مداولاتها ونطق الرئيس بالحكم ، فاذا هو يقضي بأعدام المختار .

فقابل المختار ذلك بقوله :

« إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .

وأراد رئيس المحكمة ان يعرف ما قاله السيد عمر .. فسأل الترجمان ان ينقل اليه عبارته ، ففعل ..

وعندئذ ، بدا التأثير العميق على وجوه الايطاليين أنفسهم الذين حضروا هذه المحاكمة الصورية ..

كما أخذوا يعلقون على قسوة هذا الحكم مظهرين كدرهم وإعجابهم بشجاعة المختار وبسالته في آن واحد .

وأما المحاكمة ، فقد استغرقت من بدئها إلى نهايتها ساعة واحدة
ن عشرة دقيقة فحسب ، من الساعة الخامسة مساء إلى الساعة
سة والرربع .



وكذلك قضت إرادة الله تعالى أن يتحكم الأوباش في مصير
ل ، لتم الارادة الالهية وتمضي الحكمة الربانية ، ويلقى الرجل
شهيداً .

اعدام عمر المختار

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ، الأربعاء ١١ سبتمبر ١٩٣١ ، نفذ الطليان في « سلوق » حكم الاعدام شنقاً في السيد عمر المختار .

ودفعت الخسة الإيطاليين ان يفعلوا عجباً في تاريخ الشعوب ، ذلك انهم حرصوا على أن يجمعوا حشداً عظيماً لمشاهدة التنفيذ ..

فأرغموا أعيان البرقاويين الذين اعتقلوهم في « بنينة » ، كما أرغموا أعيان بنغازي ، وعدداً كبيراً من الأهالي من مختلف الجهات على حضور عملية التنفيذ .

فحضر ما لا يقل عن عشرين ألف نسمة - على حشد قول جرازياي .

ويقول الدكتور العنيزي :

« لقد أرغم الطليان الأهالي والأعيان المعتقلين في معسكرات

الاعتقال والنازليين في بنغازي ، على حضور المحاكمة ، وحضور التنفيذ .

وكنيت احد اولئك الذين ارغمهم الطليان على حضور المحاكمة ، ولكني وقد استبد بي الحزن شاني في ذلك شأن سائر ابناء جلدتي ، لم اكن استطيع رؤية ذلك البطل المجاهد على حبل المشنقة ..

فرضت ، ولم يعفني الطليان من حضور التنفيذ في ذلك اليوم المشئوم ، الا عندما تيقنوا من مرضي وعجزني عن الحضور ..

ويا لها من ساعة رهيبة تلك التي سار فيها المختار بـقدم ثابتة وشجاعة نادرة وهو ينطق بالشهادتين إلى حبل المشنقة ، وقد ظل المختار يردد الشهادتين حتى نفذ فيه الجلادون الحكم .

وعندما وجد هؤلاء ان المختار لم يميت ، اعدوا عملية الشنق مرة ثانية .

وكأنما كان الرعب يملأ قلوب الطليان من البطل حتى بعد وفاته .. فما ان اتموا عملية الشنق حتى نقلوه الى مقبرة الصابري في سيدي عبيد بناحية بنغازي ..

فدفنوا جسده الطاهر في قبر عظيم العمق ، بنوه بالأسمنت
المسلح ، وحرصوا على اجراء عملية الدفن سرآ ، كما اخفوا معالم
القبر حتى لا يعثر عليه ، واقاموا على القبر جنداً يحرسونه زمناً
طويلاً خوفاً من ان ينقل مواطنوه جثثانه الطاهر .

★

عظمة في الحياة ، وعظمة في الممات يا مختار . عشت قاتلاً
لأعداء الله والوطن والإنسانية ، ومتم مقتولاً بيد اعداء الله
والوطن والانسانية .

حتى الموت ..

يموت الناس مرة ، وأنت تموت مرتين !

لماذا ؟

لأن الله يريد أن يرفعك بذلك مرتين ... ويعطيك على ذلك
أجرين ..

أجر الشهيد الذي عاين الموت وذاقه .

ثم أجر الشهيد مرة ثانية ... الذي أراد أعداؤه أن يقتلوه
مرة ثانية ..

وتلك علامات القبول يا سيدي مختار .. وذلك أول تاج من
تيجان الآخرة يضعه ربك على جبينك .

وقد تنبأ لك ، يا سيدي بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث يقول :

« ما من أحد من أهل الجنة يسره أن يرجع إلى الدنيا غير
الشهيد ، فإنه يحب أن يرجع إلى الدنيا ، يقول حتى أقتل عشر
مرات في سبيل الله مما يرى ، مما أعطاه الله من الكرامة » .

وقد قتلت مرتين يا سيدي ، ولولا أن سنة الله لا تتغير
لقتلوك عشر مرات في سبيل الله .



ويموت الناس يا سيدي سرّاً ، وجرت عادتهم أن ينفذوا
أحكام الإعدام بعيداً عن أعين الناس ... ولكن الله لم يرض لك
ذلك ... وأراد أن يرفع لك ذكرك ، فأوحى إلى الطليان أن
يجمعوا الآلاف لتحشد ساعة التنفيذ .

وشهدوا جميعاً ، ورأوا جميعاً .

شهدوا عظمتك ، ورأوا بلاءك .

وكان أعظم ما راعهم ، أنك تدخل إلى الموت ثابتاً ، ولسانك
لا ينفك يقول :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله » .

تردها يا سيدي مراراً وأنت تسير إلى المشنقة ، ثم تكثر من
تردادها وأنت ترتفع إلى الجبل .

في تلك اللحظة ، لم تكن مع الناس ، وإنما كنت مع الله .

كان الناس يرون منك الجسد ... وكنت أنت ترى بداية
الملا الأعلى ..

حتى إذا تم لهم ما يريدون ، وانتهى الأجل المحتوم ،
تشعشت روحك العالية ، ورفرفت إلى حبيبها وخالقها وهي
تردد وتردد :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله » .

فضائع الاستعمار الايطالي

اليك بعضاً مما فعله الطليان ، في شعب ليبيا .. منذ نزلوا بلادها عام ١٩١١ .. حتى ذهبوا عنها مهزومين مقهورين ، عام ١٩٤٣ .

في ١٢ اكتوبر ١٩١١ ، في ناحية المنشية ، قتل الطليان من الاهالي عدداً يتراوح بين أربعة آلاف وسبعة آلاف نسمة ، ومثلوا بالكثيرين وهتكوا أعراض النساء ..

وأمعنوا في التنكيل بهؤلاء الاهالي فنفوا حوالي تسعمائة منهم والقوا في السجون أعداداً عظيمة من الرجال والنساء .

في يوم ٢٦ اكتوبر ١٩١١ ، أشعلوا الحرائق في أحد الأحياء الواقعة خلف بنك روما في طرابلس ، بعد أن ذبحوا اكثر سكان هذا الحي الذي التهمته النيران ، ولم يسلم من فتكهم النساء والأطفال والشيوخ والعجزة .

في ٢٧ أكتوبر ١٩١١ أعدموا رمياً بالرصاص حوالي خمسين نسمة بين نساء واطفال في ثكنة فرسانهم في مدينة طرابلس .

وظل الطليان يرتكبون هذه الفظائع في الأعوام التالية ، فاستمروا يشنقون ويعدمون الأهالي الذين بقوا في المدن والقرى والنواجع ولم ينخرطوا في جيش المجاهدين .

ثم يلقون من نجا منهم في السجون ، وينفون جماعة أخرى إلى إيطاليا وصقلية .

كما أنهم ظلوا يهتكون اعراض النساء ... ويبقرون بطون الحبالي منهن .

ويصادرون أموال أهل البلاد ويغتصبون الأرض منهم .

ثم امتد طغيان الطليان ، حتى شمل محاربة المسلمين في عقائدهم ... فدمروا مسجد سيدي عزيز في الفتائح ، دون مسوغ حربي .

وأمعنوا في إهانة الدين الاسلامي ، ومنعوا الأهالي من إقامة شعائره .

وصار جنودهم يدخلون المساجد وهم سكارى ازدراء بالمسلمين

وتعطيلاً لعبادتهم .

ثم منعوا أداء فريضة الحج ، بدعوى ان الوباء منتشر في الحجاز .

ثم زاد امتهانهم للدين الاسلامي في المدة التالية بدرجة شنيعة فكان من أسوأ فعالمهم ، ان القى قائد طبرق الايطالي بالمصحف الشريف إلى الأرض ، ثم أخذ يطأ عليه بقدمه على مشهد من جماعة من الأهلين وهو يقول :

« إنكم معشر المسلمين لا يمكن أن تصيروا بشراً ما دام هذا الكتاب بين ايديكم » .

ثم اتخذوا من الأضرحة والمساجد (اصطبلات) لدوابهم وخيولهم .

ومنذ عام ١٩١٣ بدأوا يسخرون العرب في بناء القلاع وتعبيد الطرق وغير ذلك من الأعمال الشاقة .

وغدت فظائع الطليان بين عامي ١٩١٤ - ١٩٢١ خصوصاً صفحات متسلسلة الحوادث متشابهة الوقائع ..

فلم يفتروا لحظة واحدة عن التقتيل والتعذيب ، والنكابة بالعرب والضغط على حرياتهم ، والعبث بأرواحهم ، واغتصاب

أملاكهم ، ونهب اموالهم ، وإحراق بيوتهم ، وسي نساءهم ، وتيتيم
أطفالهم وتنصيرهم .

ونشط المبشرون الطليان في دعوتهم ، وعمدت الحكومة إلى
إرغام النساء على التنصر والزواج من الطليان .

ثم اخذ المبشرون يعملون للقضاء على الأخلاق الإسلامية ،
وبث روح الكثلكة في المدارس بين الاطفال ، والقضاء على معارف
أهل البلاد والتعليم الديني ..

ثم اخذوا يميئون الصناعة والتجارة ، ويزاحمون الأهالي حتى
في أدنى الحرف .

ثم منعوا الناس من التظلم ، وقيدوا حرياتهم ، فمنعواهم من
محادثة بعضهم بعضاً ، ومن قراءة الصحف والمجلات والكتب
الادبية ، ومن مراسلة اقاربهم في الخارج ، حتى صاروا في شبه
سجن داخل بلادهم محرومين من كل صلة تربطهم بالعالم العربي
خصوصاً .

وقد ابى صحفي إنجليزي ، رافق الحملة الايطالية ، أن
يبقى مع جيش ، لا هم له - على حد قوله - إلا ارتكاب جرائم
القتل ، لان ما كان يراه من المذابح ، وترك النساء العرب

المريضات يعالجن مع اولادهن سكرات الموت على قارعة الطريق ،
جعله يكتب للجنرال كانيفا « قائد الجيش » كتاباً شديد اللهجة ،
ذكر فيه ، انه يرفض البقاء مع جيش ، لا يمكن أن يعتبره
جيشاً بالمعنى المعروف ، وإنما مجرد عصابة من قطاع الطرق
والقتلة .

ولو انصف الصحفي المذكور ، لسامهم حثالة من صعاليك
الطليان ، دفعهم الجوع والفقر ، فانتظموا في هيئة جيش ،
والقوا بجثثهم على شعب آمن مسالم ، يفعلون به الافاعيل تحت
ستار الاستعمار .

والاستعمار ، هو الاستعمار مهما وضعوا له من اسماء ، ولفقوا
له من دعايات جوفاء !



وأخيراً جاء موسوليني ، ذلك الطبل الاجوف ، زعيماً على
ايطاليا ، في اكتوبر ١٩٢٢ ، فكان بداية عهد أسود قاتم في
ليبيا ، تضاءلت إلى جواره كل الفظائع التي ارتكبت من قبل
وتلاشت .

لقد كان الفاشست يحمون باعادة الامبراطورية الرومانية
الغابرة ، فقرروا لذلك امتلاك البلدان العربية القائمة على شواطئ
البحر الابيض ، ثم ابادوا اهل هذه البلاد وافنائهم وتحويلها الى
رقعة لاتينية .

وتلك لعمري وقاحة ما بعدها وقاحة ، أن يعمل شعب على
ابادة عدة شعوب ليحل محلها بالقوة !

ولكن هذا هو منطق الطليان !

وبلغ من استهتارهم ، انهم ألزموا خطباء الجمعة بالدعاء على
المنابر لملك ايطاليا ، عمانويل الثالث ، وعندئذ امتنع الناس عن
صلاة الجمعة .

فلما هاج الرأي العام الاسلامي على هذا الفعل ، استكتبوا
الائمة تكذيباً بتوقيعاتهم ، جاء فيه ان الدعاء كان بمحض
ارادتهم ، ومن تلقاء انفسهم ، ومن غير تدخل من جانب الحكومة
الفاشستية !!

فهل رأيت وقاحة أبلغ من هذه ؟

وفي عهد بادوليو صاروا يمنعون الناس من اداء الحج ويضعون
العراقيل في سبيلهم ، حتى يجبروهم على تركه .

وفي سنة ١٩٢٩ جمع الجنرال جرازيايى جميع مشايخ السنوسية
وأئمة المساجد والمؤذنين والفقهاء والسدنة وسجنهم جميعاً في مركز
بنينة ، وكان بناء قديماً لا سقف له ، ذاقوا فيه مر العذاب
جوعاً وعطشاً ..

ثم نقلوا الى سجون ايطاليا ..

وبعد ان مكثوا بها مدة أعيدوا الى بنينة فهلك منهم كثيرون
جوعاً وتعباً ومرضاً .

وعندما اشتدت مقاومة المجاهدين ، وأدرك الطليان ، انه
لا سبيل الى التغلب على العرب ، الا باتباع اساليب الإبادة والإفناء ،
كان القضاء على اللغة العربية ، لغة الدين ودعامة قومية العرب ،
ثم العمل على تنصير العرب وازعاف الدين والاخلاق من الوسائل
التي تذرعوها بها لتحقيق هذه الغاية .

فاغلقوا الكتاتيب ودور العلم الوطنية ، وأنشأوا بدلاً منها
مدارس ايطالية .

ثم اكثروا من اقامة دور الفحش والدعارة ، وعملوا على تنصير
المسلمين ، وارغامهم على اعتناق الكاثوليكية .

وبذلوا في هذا الامر ، جهوداً جبارة .. واستقدموا لذلك
جيشاً من المبشرين ، وانفقوا اموالاً طائلة ..

وانشأوا كثيراً من الكنائس في طول البلاد وعرضها التي تكاد
لا يوجد بها مسيحي واحد!!

ثم كان أقبح ما فعل المارشال بادوليو انه أمر بأن ترصف
(الصالة) في قصره بالبلاط منقوش عليه «محمد» صلى الله عليه
وسلم تسليماً .

فبأي وصف توصف هذه الفعله يا دعاة الاستعمار ؟

ثم حاولوا طمس اللغة العربية نهائياً : « حتى أنهم صاروا
يحولون دون وصول الخطابات إلى أصحابها ما دامت هذه غير
معنونة باللغة الايطالية ! »

وفي عام ١٩٢٣ قتلوا من أهالي جعارة وغيرها عند احتلالها ما
يزيد على الف رجل صبرا أمام نسائهم وأطفالهم .

وكان من أبشع ما فعلوا مما يدل على الجبن والندالة والضعفة ،
وما شئت من أوصاف السوء ..

إنهم أتوا بعشرة سيدات من اهل جفارة ، فجردوهن من
من ثيابهن وشنقوهن عاريات ، وأبقوهن سبعة أيام معلقات على
هذه الحالة !

ثم ما لبثوا أن احرقوا عدة قرى بمن فيها .

وفي عام ١٩٢٨ حدث حادثان أليان .

الأول : ان ثلاثة من ضباطهم طلبوا ثلاث عربيات للاستمتاع
بهن « فتمكنوا من اغتصاب اثنتين ... وأما الثالثة ، فقد فر بها
ابوها » ونجت من برائتهم .

وأما الثاني : فانهم القوا جماعة من طيارة من علو ٤٠٠ متر
من المكان المعروف بجروودس العبيد بالجبل الأخضر .

وأقبح من ذلك انهم ربطوا الشيخ مفتاح العبيدي وابن عمه
صالح علي بين سيارتين دفعوهما إلى اتجاهين مختلفين ، فتقطعت
أجسامهما إرباً إرباً أمام قبيلتهما المستسلمة القاطنة بجوار المعسكر
الفاشستي في تاكنس .

★

ثم تفتق ذهن الجنرال جرازياي الذي استقدم خصيصاً لانهاء
المقاومة في برقة عن اختراع « المحكة الطائرة » .

وكانت هذه المحكة تنتقل بالطائرة إلى المكان الذي يقع فيه
الحادث وتعتقد جلساتها في الهواء الطلق في الميادين العامة في المدن
وعند النواجع ..

وكانت إجراءات المحاكمة والتنفيذ ، تتم بسرعة عظيمة ...
فلا يسمح للمتهمين بالدفاع عن انفسهم ، ولا تفحص المحكمة
شهادة الشهود ، بل يكفي مجرد الاتهام لاستصدار الحكم بالاعدام
على المتهمين .

واليك قصة إحدى محاكمات هذه المحكمة الشيطانية لتبين إلى
أي مدى بلغ إجرام الطليان .

« جيء بالمتهمين الأربعة امام المحكمة التي تألفت من رئيسها
وبعض الضباط الطليان ... وبدأ القاضي بسؤال اكبر المتهمين سناً
طالباً منه الاعتراف باعطاء الخبز والطباق للمجاهدين . وعندما
صمت المتهم ولم يجب ، صرخ القاضي في وجهه ، ووخزه أحد
الشرطة في ظهره ، فأجاب المتهم بالايجاب ..

« وعندئذ قال القاضي : « حسناً يكفي هذا ! المتهم الثاني ! »
« وفي اقل من لحظة ، كان القاضي قد حصل من المتهم الثاني
على إجابة تشبه إجابة الأول ، فنحي جانباً .. ولما كان المتهم
الثالث اصماً فقد ترك دون سؤال ..

« ثم جاء دور المتهم الرابع ، وهو اصغر المتهمين سناً وتبدو
عليه النجاسة ..

« فأعاد القاضي نفس السؤال وطلب منه الاعتراف بجرمه ،

ولكنه رفض ان يفعل ذلك ، ثم قال : إن المجاهدين ولا شك كانوا يأخذون أغنامنا إذا رفضنا إعطاءهم الخبز والطباق ، وليس لدينا ما ندافع به عن انفسنا ، فكيف نستطيع اذن أن نمنعهم ! »

« فلما قال القاضي : « كان في وسعك أن تطلب (الكربنيري) من درنة » .

« أجاب : « ان القرآن الكريم يمنع تسليم المسلمين للمسيحيين »
« فلم يأبه القاضي بطبيعة الحال بهذا الدفاع ، وأصدر حكمه على الفور باعدام ثلاثة منهم باطلاق الرصاص عليهم من وراء ظهورهم ، « كما يجب ان يعامل اولئك الذين يخونون ايطاليا » ، على حد قوله ، وأطلق سراح الأبكم الأصم .

« وعندئذ وضعت الأغلال في أيدي الرجال الثلاثة وأركبوا سيارة كبيرة سارت بهم في الطريق المؤدي الى السجن ، ولكن لم يلبث ان انقطع صوت محركها فجأة ، فجثم على المكان سكوت عميق ، حتى اذا انقضت خمس دقائق فقط ، دوى في الفضاء صوت أعيرة نارية كثيرة أطلقت جميعها في وقت واحد . ثم أعقبها طلق ناري منفصل .

« فلما استفسر عن السبب أجاب عربي : « لقد تعودنا يا سيدي سماع ذلك ، لأن هؤلاء التعساء لا يموتون سريعا عندما يطلق

الرصاص على ظهورهم من الخلف ، ولذلك يتقدم أحد الضباط للإجهاز على كل من يبقى فيه رمق من الحياة باطلاق رصاصة على رأسه » .

تلك احدى محاكمات « المحكمة الطائرة » التي ابتكرها شيطان جرازاني عليه اللعنة .



على أن ما ارتكبه جزار ليبيا من فظائع تقشعر من هولها الأبدان ، عندما حشد العرب في معسكرات الاعتقال ، كان يفوق كثيراً تلك المجازر التي وقعت على ايدي قضاة المحكمة الطائرة وجلادها .

حشد جرازاني ٨٠ الف نسمة في معسكرات الموت المحاطة بالأسلاك الشائكة ، بعد ان ارغمهم على ترك دورهم واملاكهم ، واخرجهم بالقوة الى الأماكن التي يريدونها ، وكان يهددهم اما بالموت واما بالخروج فوراً .

كل ذلك بدعوى انهم يتصلون بالمجاهدين .

واليك وصف مراسل جريدة المانية بعد زيارة معسكرات الاعتقال في برقة :

» ان الانتقادات التي يوجهها الآن الفرنسيين والانجليز الى خطة الفاشيست في برقة ، موجهة في الدرجة الأولى الى التدابير التي اتخذها الجنرال جرازياي لإجلاء ٨٠ ألف بدوي عن اراضيهم وحشدهم على شاطئ سرت ، حيث مد الطليان اسلاكاً شائكة حول خيامهم ، دون أن يراعوا حالة هؤلاء البدو الروحية ، او يلاحظوا تأثير مثل هذا القيد والحصار فيهم ..

ولا يجوز لأحد أن يخرج من نطاق الحصار إلا في النهار ، بشرط أن يرجع إلى مكانه قبل ان يخيم الظلام ، وكل واحد من رؤساء القبائل والمنفذين ، مسئول عن اتباعه فرداً فرداً ..

ومع ذلك ، يجب أن نقول ان الحالة سيئة للغاية تفوق كل تصور ؛ فإن معدل الأموات من الأطفال يبلغ ٩٠ ٪ وأمراض العيون التي ينتهي اكثرها بالعمى كثيرة جداً ومنتشرة جداً ، ويكاد لا ينجو احد من الأمراض .

أما غذاء هؤلاء المساكين ، فالأحسن أن لا نتكلم عنه بالمرة ... ومن الطبيعي أن نرى هؤلاء يتألمون اشد الألم ، وفي الدرجة الأولى من هذه الأسلاك الشائكة ، رمز الأسر ، ورغم تلاصق الخيام وشدة تقاربها ببعضها ... فإن حصرها ضمن أسلاك شائكة ، يجب أن تعتبر من المتناقضات الغريبة التي لا يتصورها العقل .

وفي أثناء اعتقال هذه الأمة بأكملها في المعتقلات ... أنزل
جرازياني وأعوانه بزعمائهم وشيوخهم. صنوف الالهات البالغة ،
فرموا بهم في اعماق السجون ، وقتلوا من وجهائهم رجلاً يدعى
الشيخ سعيد البرقاوي مع خمسة عشر شيخاً شر قتلة .

ذلك بأن القوا بهم جميعاً من الطيارات من علو شاهق على
مشهد من أهلهم .

فكان ، كما هوى منهم شخص ، صفق الضباط والجنود
ساخرين منادين :

« فليات نبيكم محمد البدوي ، الذي اغراكم بالجهاد وينقذكم
من ايدينا » !

أرأيت الخسة في الخصومة والدناءة في النفسية ؟

” وكان ، من جراء أساليب الإبادة هذه ... أن بلغ مجموع
ما فتك الطليان بهم ٥٧٠٩٢٨ نسمة ، من سكان وطرابلس
وبرقة .

وعندما دخل الطليان الكفرة في يناير ١٩٣١ ، ولم يجدوا بها
سوى الشيوخ والنساء والأطفال ، استباحوا قرى هذه الواحة
ثلاثة أيام بطولها :

« ارتكبوا خلالها ما لا تتصوره الأذهان من نهب وسلب

وتشنيع ، وسبي نساء ، وذبح شيوخ واطفال ، وإحراق دور ومزارع ، وانتهاك حرمة المساجد ودوس المصاحف .

وقد وصف أحد الذين شهدوا معركة « الكفرة » فظائع الطليان فقال :

« ودخلوا الكفرة التي لم يبق فيها إلا الشيوخ والعجزة والنساء والأطفال ، وانتشروا فيها ، وفي قرية التاج مستبيحين كل حرمة ، ونهبوا الأموال ، وذبحوا الشيوخ والأطفال ذبح الخراف ، وفتكوا بالنساء فتكاً ترتعد له الفرائص ، وبقروا بطون الحوامل وكان نصيب الكثيرات من النساء الموت الفظيع لدفاعهن عن أعراضهن .

« وبالجملة ، فقد هتكوا أعراض ٧٠ عائلة من عائلات السادة الاشراف ، وجعلوا من الجوامع خمرات شربوا فيها الخمر ، وكانوا يجبرون النساء المسلمات ، اللاتي احضروهن للفحش « على شرب الخمر ، او الموت شر ميتة ، ونثروا جميع المصاحف والكتب الشرعية ، في زاوية التاج وداسوها ، والقوها في الاصطبلات تحت حوافر الخيل والبغال ... » .

إلا ان افطع ما فعله الطليان ، كان اغتصاب النساء الاشراف ويروي الامير شقيب ارسلان ، قصة هذه الفعلة الشنيعة ..

فيقول :

« وكان نحو من ٢٠٠ امرأة ، من نساء الاشراف ، قد
فررن إلى الصحراء ، قبل وصول الجيش الايطالي ، فأرسلوا
قوة في اثرهن ، فتأثروهن حتى قبضوا عليهن وسحبوهن إلى
الكفرة ، حيث خلاهن ضباط الجيش الطلياني واغتصبوهن ،
وهكذا انزلوا المعرات بسبعين اسرة شريفة من اشراف الكفرة ،
الذين كانت الشمس تقربياً ، لا ترى وجوههن من الصوت
والعفاف » .

وفي مكان آخر يقول الامير :

« ان الايطاليين قلبوا زاوية السادة السنوسية في الكفرة ،
إلى دار فسق وسكر ، وداسوا المصاحف الشريفة بالأرجل ،
وعندما كانوا يطبخون طعامهم .. كانوا يوقدون المصاحف تحت
القدور » .



وفي اثناء هذا النضال ، استحق المارشال جرازاني لقب
« الوباء » ، او « الطاعون » ، ذلك بأنه ظل شهوراً طويلة يعدم
حوالي ثلاثين نسمة يومياً .

وأما العرب الذين كانوا يحاولون الفرار ، فقد كان نصيبهم ان يلقوا من الطائرات حتى يتحطموا على الصخور .

ويقول جرازياي ان الفرد الواحد من العدو ، إذا حصل على العفو عنه والصفح عن فعله ، فإنه يصبح بذلك أشد خطراً على الحكومة من ألف من الاعداء السافرين .

وكان من اسباب الرحمة حقاً ، ومن حظ الاهالي ان انتهى عهد جرازياي بمجرد انتهاء المقاومة واخمادها ، فأرسل بدلاً منه ماريشال الجو إيتالو بالبو حاكماً في عام ١٩٣٤ .

وقد وقع على كاهل بالبو ، تنفيذ الشطر الثاني من برنامج إبادة الليبيين وافنائهم ، ونعني بذلك اغتصاب الارض منهم واعطائها للمعمرين الطليان .

وترك اصحاب الارض الحقيقيين ، وابناء البلاد يتضورون جوعاً ، هائمين على وجوههم في الشوارع ، او يخدمون ، إذا شاءوا البقاء على قيد الحياة ، هؤلاء المعمرين خدماً وعبيداً لهم .



تلك قطرات قليلة من طوفان البلاء وسيل العذاب الذي صبه

الاستعمار الإيطالي على أبناء القطر الليبي الشقيق .

ليعلم الناس جميعاً لماذا كان يقاتل المختار ويقاتل ، ويستبسل
في قتاله وجهاده .

كان يعلم هو والمجاهدون معه ، أن العار والذل والعذاب ، وكل
أنواع المهانة في انتظاره اذا استسلم ..

فكان لا بد له من القتال حتى الموت .

النصر

« حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء، ولا
يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

اطمأنت الامبراطورية الإيطالية الى سلطانها ، ودانت لها
لاقطار الليبية من اقصاها الى اقصاها ، من بعد استشهاد المختار
عام ١٩٣١ حتى عام ١٩٤٢ .

احد عشر عاماً من الياس المطلق ... الذي لا يبشر بشيء
من الامل .

امير البلاد في مهجره في مصر .

اهل الحل والعقد الليبيين بعيدون عن البلاد .

نصف الشعب أو يزيد اهلكوا ، او اخرجوا من ديارهم
ظلماً وعدواناً .

البقية الباقية مستضعفة في بلادها لا حول لها ولا قوة .

جرازياني ينفخ اوداجه ، ويختال على ارض ليبيا مينة ويسرة
حيث شاء .

ثم جاء من ورائه بالبو الماريشال العجوز ليتم قصة ابادة
الشعب الليبي ، ويسلم الاراضي الى رعاع الطليان .
ليل هنا وليل هناك .

وياس هنا وياس هناك .

وبلغ الطليان اقصى مراتب العزة ، وبلغ الليبيون ابعد
مراتب الذلة

هنالك ... عندما تبلغ الحلقوم ... وبلغ الياس مداه من
النفوس ... ينزل النصر ، وينتقم القدر ، ويحق الله الحق ،
ويبطل الباطل .



وكانت قصة النصر ، الذي انزله الله على شعب ليبيا المكافح ،
قصة غريبة ينبغي على الناس جميعاً ان يعلموها ليطمئنوا الى عدل
الله المنتقم الجبار .

بدأت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ ، وحرصت
ايطاليا اول الامر على عدم دخولها .

حتى اذا رأت فرنسا تنهار على اثر الزحف الالماني الخاطف
عليها ، اعلنت ايطاليا الحرب على انجلترا وفرنسا في ١٠ يونيو
١٩٤٠ .

وهكذا بدأ القدر يرسم خطته ، وبدأ الحبل يضيق حول عنق
الامبراطورية الجوفاء العرجاء .

دخلت ايطاليا الحرب بقيادة زعيمها موسوليني طمعا في
الاسلاب ، وكانت توقن ان الارض قد دانت لحليفها المانيا .

فأخلف الله ظنّها ، واحاطها بمكر عميق ، افضى الى زوالها
نهائياً من الوجود كامبراطورية صاحبة مستعمرات .

واندحرت ايطاليا باندحار المانيا في شمال افريقيا ، ولم تغرب
شمس يوم ٧ فبراير ١٩٤٣ ، حتى كانت جيوش رومل المنهزمة قد
أخلت القطر الطرابلسي بأجمعه .

وكانت فرحة عظيمة شاملة عمت القلوب ، وعبر عنها امير
البلاد بقوله :

« إني أحمد الله الذي جعلني أشهد خروج هؤلاء (الطليان)
الظالمين من بلادنا » .

وتدفق الليبيون إلى بلادهم التي ترعرعوا فيها وأخرجوا منها

ظلماً وزوراً .

وهكذا استدار الزمان ... وانتقم الديان ... وتزل العار
بالطليان .

لقد أرادت إيطاليا إبادة الليبيين فبادت هي وبقيت ليبيا
لليبين ..

وأراد جرازياي إعدام المختار ... فهلك هو وبقي المختار علماً
للأحرار

العبرة من حياة المختار

« لقد كان في قصصهم
عبرة لأولي الالباب .. »

ليس المختار أول من جاهد ولا أول من استشهد ، وإنما
المختار هو أحد أولئك القلائل الذين يواصلون القتال رغم اليأس من
نتيجة المعركة .

فهو بلغة الجيش ، رجل انتحاري ، رجل فدائي .

وهو بلغة الاسلام من أولئك « الذين قال لهم الناس ، إن
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل » .

وذلك هو مفتاح شخصية الرجل الفذ .

آمن بالله واستقرت معاني الإيمان في قلبه ، فأصبح لا يرى
إلا الله ، ولا يخشى إلا الله .

وهذا الصنف ، هو أقوى ما عرفت البشرية وستعرف من
الرجال .

وهو الانسان الحر في أعلى وأوسع معاني الحرية .

حرر قلبه من الأوهام ومن الشرك ، ومن الضلال ، ومن
الشهوات ، ومن كل ظلمة تحجب نور الحقيقة ... فإذا تم له ذلك ،
كان قلبه نوراً خالصاً صافياً لا شائبة فيه .

وأصبح دائم المراقبة لله ، دائم الشهود لله ، في كل شيء يراه
ويحس بآياته .

وهو من هنا شديد الخوف من الله ، لأنه يعلم أنه سبحانه شديد
العقاب .

وشعور الخشية هذا يحجزه عن كل معصية ، مخافة من الله ،
واتقاء لغضبه وعذابه .

عندئذ يحده الله أهلاً لحبه واصطفائه ، فيتجلى عليه بالتجليات
الربانية .. وينزل في قلبه سكينة لو جمعت الدنيا بأسرها لتزلزله

ما استطاعت .

لذلك كان المختار راسخاً كالجبل الأشم ، تحاول الامبراطورية
الايطالية بجموعها أن ترحزحه فترتد عنه وهي خاسئة ذليلة لم
تنل منه شيئاً .

يوقن أن امثال جرازياي وجيوشه ، إنما هم ذباب ساقه الله
ليبتلي به إيمانه وإيمان من معه .

فكان يقاتل الطليان وهو في قرارة ذاته يحتقرهم ويراهم ليسوا
على شيء مهما حاولوا أن يتبجحوا في مظاهرهم .

ولا يوجد في العالم فدائية أعلى ، ولا أقوى ، من فدائية
الايان بالله .

وقد كانت تتمثل في عمر المختار أبهج وأسمى معانيها .

فالفريد في سيرته ، انه أحيا شيئاً كاد يندثر ، أحيا معاني
الايان التي كان الناس قد بدأوا ينصرفون عنها .



فالعبرة الأولى من سيرته ، أنه بنيان أسس على التقوى ، أصله

ثابت وفروعه في السماء .. فهو شجرة طيبة تؤتي أكلها في كل حين .

عاش مباركاً في حياته مباركاً في مماته .

والعبرة الثانية ، انه كان داعياً إلى الله بأذنه ، تربى على أيدي دعاة السنوسية ، فلما اكتمل وترعرع ، أدى الرسالة وبلغ الأمانة وأنذر وبشر ، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه .

وعبرة أخرى ، انه كان على فهم صحيح لدينه ، يأخذه كلاً لا يتجزأ ، فلا هو بالمتدين المحترف ، ولا هو بالمتدين البعيد عن جوهر الدين ، وإنما هو رجل مؤمن ، يعلم ان الاسلام لا يصلح أن يؤخذ بعضه ويترك بعضه ، وإنما لا يصلح المرء أن يكون مؤمناً حتى يعمل به كله .

وعبرة أخرى انه كان شاباً دائماً ، حاراً دائماً ، يتدفق النور والحرارة من قلبه رغم شيخوخته .

وتلك طبيعة المقاتلين في سبيل الله ، الذين يخشون الله ولا يخشون أحداً من عبادنا .

وإنك لتعجب حين تعلم ، أنه حين عين قائداً عاماً ، وهو فوق الستين عاماً ، واستشهد وهو في نحو السبعين عاماً ، وما ذلك إلا لأنه رجل يقاتل ، ويجب ان يقاتل ..

ومثل ذلك الشعور يجعله شاباً دائماً الشباب ، وان ارتفعت
به الأيام .

وعبرة أخرى ان الله لا يضيع جهاد المجاهدين ، ولا ايمان
المؤمنين ، اذا علم منهم صدق النية وحسن الطوية ..

فها هم اولاء اهل ليبيا جاهدوا وجاهدوا طويلاً ، ثم انتصرت
ايطاليا عليهم نهائياً في عام ١٩٣١ ، ومكثت صاحبة السلطان
المطلق في ليبيا حتى عام ١٩٤٢ .

احدى عشر عاماً كلها ياس مطلق ، ولا امل فيها يبشر بالنصر
ثم اراد الله ان يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ..

فجاء بالحرب العالمية الثانية ، وجعلها سبباً في نصر اولئك
المظلومين ، فاتتصروا واستعادوا بلادهم مرة اخرى ، وعادوا الى
اوطانهم التي ترعرعوا فيها ، بعد أن أخرجوا منها ظمأ وعدواناً .
وذلك مثال حي خالد للأمم والافراد .

والعبرة الاخرى ان الظالم الباغي منهزم لا محالة في النهاية ،
وان انتصر في البداية وظن ان لن يقدر عليه احد .

ذلك ان الله خير الماكرين ، وان مكر القدر فوق مكر
الظالمين ... يرمي الله اهل الحق باهل الباطل ، واهل الباطل باهل
الحق ، ليميز الخبيث من الطيب ..

ثم تدور المعركة ، فينتصر اهل الباطل فيغتروا بذلك النصر
ويزدادوا غروراً ، وتمضي الايام وتمضي ، حتى يكاد اهل الباطل
ان ينسوا ما هم فيه وما ينتظرهم .. هنالك ..

وبغته ، يحق الله الحق ويبطل الباطل :

وعبرة اخرى ان الشهداء وحدهم هم الذين لا يموتون ، وكل
الناس تموت . وليس ذلك برأي من عندي ، وانما هو رأي القرآن
حيث يقول :

« ولات حسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل احياء
عند ربهم يرزقون » .

فالشهداء اعقل الناس حقاً ، لانهم اختاروا اسهل ميتة ...
واختصروا الحياة المملة السخيفة ، وسارعوا الى حياة أرقى
وافضل واوسع .

والعبرة الاخرى ان الرجل لم يسع للشهرة ، لان المخلصين لا
يبحثون عن الشهرة ، وانما هي تبحث عنهم .

ولكن العبرة من سيرته ان كل من اخلص وجاهد ، وعمل
الصالحات ابتغاء رضوان الله ، تكفل الله برفع ذكره في الدنيا
فضلاً عن الآخرة .

وعبرة اخرى « ان المختار كان ولياً من اولياء الله - ولا نزكي

على الله اهدأ - وقد صدقت فيه اشارات الحديث القدسي القائل :
« من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » .

وقد صدق الله وعده ، ودمر ايطاليا الفاشستية بأكلمها ،
وفعل بها الافاعيل ، ونكل بقادتها شر نكال من اجل المختار .

والعبرة الاخيرة - وما اكثر العبر في حياة المختار - انني
اشعر بالتقصير حين اكتب عن ذلك البطل ، وأحس احساساً عميقاً
انه اعظم مما كتبت واجل مما توهمت .

سلام على عمر المختار .. سلام على عباده الذين اصطفى .

— تم —

الفهرس

صفحة

٥	الإهداء
٧	بين يدي هذه الطبعة
٩	مقدمة
١١	في خريف الامبراطورية العثمانية
١٩	الدعوة السنوسية تنتشر
٢٥	الامارة تسعى الى السنوسية
٣٣	العصر الذهبي للدعوة السنوسية
٤١	قتال الفرنسيين
٤٣	الحرب الايطالية - الليبية
٥٧	عمر المختار في المعركة
٦٥	تركيا تسلم ليبيا الى ايطاليا

٦٩	عزيز المصري يقود المعركة
٧٥	عمر المختار يتسلم القيادة
٧٩	في الحرب العالمية الاولى
٨٩	السيد محمد ادريس المهدي السنوسي
٩٧	تعيين عمر المختار قائداً أعلى
١٠٩	معارك المختار
١١٩	تعيين بادوليو حاكماً عاماً على ليبيا
١٢٥	جرازياني - جزار ليبيا
١٣٥	أسر عمر المختار
١٤١	عمر المختار امام جرازياني
١٥٣	محاكمة المختار
١٥٩	اعدام عمر المختار
١٦٥	فظائع الاستعمار الايطالي
١٨٣	النصر
١٨٩	العبرة من حياة المختار
١٩٧	النهرس

ماذا في هذا الكتاب ؟!

في هذه الايام الخالكة نحن اشد ما نكون حاجة لدراسة
سيرة هذا الرجل.

ليس لانها سيرة رجل ضحى ومات شهيداً بيد الاستعمار.
ولكنها سيرة كان روحها ايمان بالله ومظهرها قتال مرير
للظالم لا هوادة فيه وعدتها صبر وجلد لا ينفد... حتى عندما
ضاقت عليه الارض بما رحبت، واستيأس الناس، كان ايمانه
اقوى من الحديد... وأمتن من الجبال.

سيرة خلدت لان صاحبها آمن بحق الناس ان يعيشوا
أحراراً وآثر ما عند الله على ما عند الناس!